العصــف

حياة الحضرى



٢٠٠٦

العصــــف



اسم الكتاب : العصف

اسم المؤلف : حياة الحضرى

رقم الإيداع : ٢٣٤٤٠ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى : X - 11 - 977-6196

تصميم الغلاف : كامل جرافيك

جمع إلكترونى : سوفت أيماج

الطبعة الأولى

٢٠٠٦

الإشراف العام : محمد الحسينى

المراسلات :

٢١ ش الصناديلى بالجيزة

١٧ ش العطار بالجيزة

ت : ٥٧١٢٦١٨

موبايل : ٠١٠٢٣١٣٥٧٩ ـ ٠١٢٤٦٢٠١٦٠

الموقع الإلكترونى :

www.dar-nevro.i8.com

البريد الإلكترونى :

dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

إهداء

إلى كل من دق له قلبي حباً وشوقاً

لك يا أعز الأحباب

حياة

حفيدتى الغالية

إلى أولادى وفلذات قلبى

إلى أخواتى الأربعة حبا

إلى وطنى .. ومولدى .. وحياتى

مصر

الفرعونية .. القبطية .. الاسلامية

إلى وطنى الأكبر وحصنى الأعظم

وطنى العربى للانتصار

حياة الحضرى
٢٠٠٤/٥/٨



انحسر الماء عن وسط نهر النيل فبدت ربوة رملية ملساء ، تمادت منذ أخريات يوليو ومطلع أغسطس حتى أتسعت وأصبحت مرتعاً لأسراب الحمام ، تلتقى جماعات كثيفة ، تطير ، أو تنطلق فرادى وأسراباً لتموج الهواء مثل النخيل حينما تتزحزح به المروج الخضراء مررت ذات صبيحة فلاحت لى تلك الجزيرة الصغيرة للمرة الأولى ، فبدر لذهنى لو أن زارعاً يغتنم الفرصة فيغرس نخيلات لتبدو جنيات خضروات وسط النيل ، يستحممن ليلا ، ويصفين البركة الخضراء نهاراً ، ويصبح للنجوم عناقيد بين غصونها ، راق لى أن أترك منزلى فى مدينة القاهرة بإحدى المساءات ، وأن أتجه ناحية قليوب ، لأجلس منفردة متأملة ، تسرح عيناى فى تلك الجزيرة الحديثة التى أخذت تتسع قبالة عينى ، وقد غابت عنها أسراب الحمام ، وتشكلت مدينة ذات أبراج عالية ، بألوان مختلفة ، ذكرتنى بالحدائق البابلية المعلقة ، وقد ماست فى أعلى كل عمارة نخلات فارعات ، يخال بها أن كواكب السماء بعض ثمرها فجأة ، ساحت تلك المدينة ، وانمسحت ، وبدا

مكانها بعض نتواءات كأن كل نبرة منها نوى بائس مهجور ، ثم كبر النوى قبالة عينى وتنسق فإذا بقبور منسقة مطلية بعدة ألوان ظهرت للعيان وكل قبر قام بينه وبين الآخر جدار علقت فيه وجوه مختلفة من الكارتون لشخوص كارتونية كتلك التى يلبسها على الرأس الأولاد ليلة رأس السنة ضحكت وخفت فى آن واحد لكنني ما كدت أشعر بين فرح وخوف حتى لمحت قبراً من تلك القبور تشقق وظهر منه مارد جبار يخرج من فمه وأنفه دخان كمنافث القطار ، ثم بدأت القبور الأخرى تتشقق وتخرج منها مردتها ، ولا تلبث تلك الأشكال والأدخنة أن تنحسر فتتضاءل ، ثم تبدو هياكل عظيمة ، أخذت تمشي ببطء وتتصادم فأسمع قرقعة عظامها ، وتدور حول نفسها ، ثم تتلولب ، وتشكل دائرة ترقص فيها تلك الهياكل . عندما كانت تكتمل دورة الهياكل العظمية ، كان ينفرد منها واحد يرقص وسط الحلقة ثم يرقص آخر وسط الحلقة ثم يمد يده نحو السماء ، إلى أن تبلغ النجوم ، فيقبض على إحداها ، فتتحول بين يديه إلى كأس يملأها من النيل

ويشــرب ، وهكذا حــتى يؤدى كل هيكل عظمى دورة في الرقص ،والشرب ، والطقس بعد أن يكتمل الطقس كانت الهياكل العظمية تدير ظهورها الواحد إلى الآخر ، وتأخذ في الانحناء والانتصاب وهي ترسل قهقهات مرعبة كأنها انهيار جبل من ثلج ، وبعد ذلك تهجم بلا نظام على النهر ، فتغوص وتطفو ، وتقفز وتتصادم ، ويعلو بعضها بعضاً ، ثم تتوزع في النهر وعلى شاطئه ، ويأخذ كل واحد منها زاوية يجلس فيها القرفصاء يسند ذقنه بقبضة يده مثل مفكر أو فيلسوف لحظة تأمله ، وتجنح تلك الهياكل طائرة نحو السماء حتى تغيب جميعها عن بصري ، ثم لايعود هذا المساء .

أحسست في إحدى الأمسيات أن أخلع ثيابي وأن أقفز إلى الشاطئ من الطريق العام بعد نصف الليل في تلك الجهة وأن أسبح إلى تلك الجزيرة الصغيرة ، لأرى بعيني ماذا بقى في تلك القبور بعد أن طار أصحابها وتفرقوا بعد كل طقس وكل تغير . وصلت الجزيرة فغاص الرمل تحت قدمي ، فتماسكت ، واقتربت من القبر الأول فوجدت فيه

مساند ومتكآت وفرشاً حسناً ، فرغبت في أن أجلس على طاولة قليلا وأن أتناول غطاءاً قطنيــاً أنشف به جســدي من مـاء النيل العكر ، فغاصت الطاولة بي لأرانى في مدينة رحبة ، وكل بيوتها قبور منسقة مفروشة على نظام بديع ، وسكانها جميعهم هياكل عظميه قزمة ليست لها أحجام تلك الهياكل الطقسية التي شاهدتها ما إن شاهدني سكان تلك المدينة العجيبة حتى بدأوا يشيرون إلى ويضحكون ، فسألت غاضبة واحدا منهم : هل فيَّ شئ يضحك ؟! أنتم هياكل عظمية عارية أما أنا فعاريه كاسية باللحم والعصب فتمادى ضحكاً ثم دنا مني ووضع فكيه على أذني وهمس : إننا معشر العالم الآخر لا نستطيع إلا السخرية والضحك منكم أبناء الأرض ، فأنتم في نظرنا أتفه وأبشع المخلوقات . غضبت وانسحبت فوجدت باب القبر مسدوداً فأخذت أصيح وأصرخ بأعلى صوتي وأخيراً انتبهت ، فإذا بي كنت في إغمائه على شاطئ النيل ، مضت أيام وأنا بعيدة عن شاطئ الأنيس ، لكن في أمسية من أمسيات القاهرة النيلية ، دفعتني بشوق

سندبادي إلى معاودة موضعي قبالة الجزيرة ، ففضلت أنا أعاود موقعى والشمس ترخي ستائرها الوردية على الأفق فبدت لي قضبان النخيل وقد اخضرت اخضراراً مشعشعاً كما يقول « على بن العباس الرومى » ولقيت في تجعدات النيل وما يختلج من بقايا الظلام والصور والنسائم مسرحاً نقلني من واقعى إلى انسياب لطيف خارج ذاتي . غربت الشمس ، واحتكت الاكتاف من مشارف كوبرى الجلاء حتى كوبري التحرير وعمر الشاطى بالسامرين ، والشاربين ، والمبتردين . لم تكن حالي مختلفة عن هؤلاء الآلاف المأخوذين بلطف الجو المخيم فوق النهر وأنست العريق وأشجاره ومرابعه ، فتمخطرات ، واستعدت شرودى فأزدهرت نفسى وانتعشت إلى ندى لطيف تناولت فيه وجبة العشاء . وأنا بين ملتهمة بعيني مباهج السماء المتلألئة وصور النهر الراقصة نظرت أمامي فوجدت ما يحرك شهيتي من السمك المشوي والبيرة الساقعة اللذيذة ، وما كان شئ ينقص عليَّ نشوتي مع ذاتي وما حولي، سوي ضجة يعدها أصحاب المراكب النيلية ضرورية يطلقون أجهزة

التسجيل على مداها فيسمع من في الشط ما يلعلع ويدوي من هوامش البسطاء ، كانت زجاجة البيرة المثلجة كافية لإثارة نهمي إلى الأكل ولهفتي إلى الشراب ، ففي اللحظة التي أملت ثمالة كأسي ، فأمالتني وكان جسر قد امتد بيني وبين المرح الناشط ، فناديت الرجل واحتدمت ذكرياتي إلى زوجي الذي تخلف في المنزل بين أشداق الخطر ، وقلت أهتف إلى « أ » أو « ب » أو « ج» ثم عدلت عن ذلك وفاءاً لاتعففاً وفضلت المشي لأدع الطاقة التي تلهب جسدى تتجه إلى قدمي ، وتهرق على رصيف الشارع إلى الجزيرة ذات الحدائق الساحرة ، فرجعت إلى موضعي منذ أيام وقد أقفرت الأرصفة أو كادت ، إلا من الأشعة والظلال فاتخذت مجلسي حيث كنت وانهمرت على التأملات والذكريات وددت لو أخلع ثيابي وأتجه للسباحة فى تلك الجزيرة الصغيرة التي رأيتها قد كبرت عن ذي قبل وأن يكون حالي هذه المرة يقظة ، لا أحلام غفوة ، لكنني ترددت لأن ماء النيل مشبع بالطين ، ولأن بي بعض من النعاس والكسل بين التردد

والاصرار وثقلت جفوني واستلانت أعضائي فإذا بى أكاد أغرق فى لجة الغفوة أحس بيد ناعمة تلمس كتفي ففتحت جفني فرأيت ابنتي إيمان شابة لا أحلى ولا أروع !!! أهلا وسهلا أهكذا تستقبلي إبنتك « عفواً ، عفواً أنت عيوني لا عفواً ولاجزاء ، أنت نسيتني . معاذ الله أن يستطيع الإنسان نسيان القمر والنجوم والفجر ، والإيمان ... و... حلاوة اللسان ، وعذوبة الحديث إلى الأبناء ، أليس كذلك ؟ لكن يجب أن تعذريني فالغربة عن الوطن ، والأهل والعمل المرهق ومشاغل السياسة المصرية العربية والعالمية .. وشرب النبيذ المثلج على شاطئ النيل ، والتهام السمك المشوي والحنين إلى « أبو الأولاد» والأهل والاصدقاء ياه !! هل كنت داخل ذاتي ؟ أنا ذاتك أيتها المسكينة ذاتي ؟

ـ نعم ! عظيم والله أن أكون الساعة بلا ذات ، وأن تكون ذاتي قد انفصلت عني ، وأصبحت حورية من حوريات الجنة ،تخاطبني ، عظيم والله ! لذا أصبح ضرورياً أن أعانق ذاتي وأشم شعرها وأغيب قلبي على

شفتيها ، ولا غبار على في القاهرة الشرسة المحافظة ، لأنني حرة أن أفعل بذاتي ما أشاء فأنجو من عتاب زوجي إذا عرف ، وأخلص من تبكيت الضمير ، فأنا امرأة جد حريصة على صفاء ضميرى ، وإن كنت أعتبر أن ضمائر البشر خرق بالية يستخدمونها لأغراضهم وشهواتهم ثرثارة مخمورة دجالة صريحة قليلة التهذيب طويلة البال تسبن نفسك ؟ آسفة يا حبيبتي ، يا مدام ذاتي ماذا تريدين أن تقولى ؟ أريد أن أضمك إلى أعماق روحي ما كادت يداى تنبسطان لتحطيا بصدرى حتى وجدتني أضم الفراغ ، جن جنوني ، انتفضت غاضبة أجدف وأدور على عقبي ، وأهدد الفضاء بقبضتي ، فرنت في سمعي قهقهات فضية كأنها تسلسل شعاع قمري على صفائح بلورة رائقة في موج من الياسمين ، وتلك الصبية ابنتي أو ذاتي المتصابية تسبح في النيل قبالتي ضاحكة منادية بحب لأتبعها وقد طفت من جسمها موجتان : شعرها وطرحة بيضاء لم تتخل عنها ولم تبتل بالماء ، وهذا سر من أسرار الذوات الهاربات من أصحابها فرحت لأن ذاتي تجيد

السباحة وتعرف كيف تقهقة بحنجرة من ماس وعنبر وكيف تقدر على التحرر مني ، أنا سجانتها الأسرة وكيف تحاورني عابثة متحدية . أيقنت أنها بشر لاجن وأنها من صنف الحيوان الضاحك أي العاقل كما يقول أصحاب المنطق والفلسفة . وأضيف كلمة سابح وإذ لايسبح على هذه الطريقة إلا أصحاب المواهب وقفت على الشاطئ المقابل ، والجزيرة المعهودة بينى وبينها وأخذت تبعث إلى بالقبل المنسابة بين أناملها من شفتين مشوقتين ، وتزغرد لي فأقبل عليها ، رسما زاد من إغرائى أنها رفعت شعرها وعقصته إلى فوق وتناولت طرحتها ورمتها فطارت إلى الأفق البعيد عالية فوق قضبان النخيل وبدت ساحرتي عارية بجسد يؤكل ويشرب ويمصمص فيعذب الموت لأجله ، صحت بها : تعالي ابنتي خذيني « وقصدي أن أمسك بيديها فأضمها ، لصدري واذوب كل أشواقي وحبي لذاتى قلت أقبلي تعالى خذيني اسمع مني وإلا ... وإلا تركتك ، أكرره للمرة الأخيرة : أقبلى أنا امرأة مقتحمة تقدمية عنيدة لا ألين لأحد غريب !! هل أنا كأية أنثى ؟

طيب، أنت مني . فلماذا تنفصلين عني ؟ مهلا . سآتي . وللمرة الأولي في حياتي أعرف أن أنثي تستلين لمنطق وتتخلي عن عناد .. أصبحت بين الهياكل العظمية ، تقوم برقصه الطقس وأنا بينها محور حلقة مخيفة ، لكنني بعد فترة أنستها ، وطربت وصرت أرقص بدوري ، لأن الرقص إضافة منغومة للحياة تعطيها خارطة جديدة لوجودها ، وأسلوباً آخر لتجاوز الواقع . اختفت الأشباح ، غاب زوجي وغابت ابنتي وامتد لسان من الموج فجرفني إلى قاع بعيد ، ولم يدر ببالي أن النيل غضب للريح غضبتها تلك ، وفي الحنايا القصية للنهر ، تجلت لي مدينة أخرى بيوتها من غضون لدنة خضراء ، بعضها مزهر ، والبعض ذو براعم ، كل بيت يتألف من خمسة غصون التفت بشكل يسمح لكل واحد من تلك الكائنات العجيبة التي تشبه الجراد ، بأنه يأوي أو يتعشق أو ينتقل ، وزادت دهشتي من ذلك التحول الذي يجعل الجراد أليفاً كنت كلما تخطرت دون خوف أو وجل بين تلك البيوت وشوارعها المعشبة المنسقة على أحلى شكل - أرى جرادة تحييني

برفع الجناجين والرأس ، وأنا كنت أحلم بأن ألتقي بكتيبة متراصة لتستقبلني بترحاب.

ما أحلى العيش في مدينة الجراد !!!

وما أعذب الحوار الصامت .. المفصح بينها !! قادتني إحداها بإشارة دقيقة معبرة إلى ناد من نوادي تلك المدينة ، فإذا بمدخله مغروس بأنواع الصبار المزهر والمتعرج ، ومقاعده من أعواد تفوح منها عطور منعشة وله نوافذ تسمح برؤية كل ما يطوف به من آفاق ، وتمتاز بتحرك مستمر لايترك مجالا لسأم أو ملل . وفي كل فترة يسمح له توقيع يأخذ بلطائف القلوب وقد ثُبتت على الجدران المنسقة لوحات حية ذوات أطر بديعة معروشة من النبات المزهر ، جميعها تتحرك وتريك الصورة في خطوطها ، وأحجامها وأبعادها المختلفة والأعجب من هذا أن سكان تلك المدينة يتكلمون بالإشارة الصامتة وأنك قادر على أن تتأمل ف تلك الصورة وتخاطبها بأية لغة شئت وهي تجيبك ولأن مجتمع تلك المدينة يرى أن تكلم هذه الصورة ماهو الا تذكار

قـديم . وبينمـا يعـيـشـون حيـاتهم في الـصـمت الذي هو دليل تخط حـضـاري لزمـان التكلم ، ويعـدون الكلام حـسب فـهـمي لإشـاراتهم مـصـدر تخريف وعبث.وتخلف ، وأن الانسـان المتكـلم هو كـائن حي مضحك متأخر ، خاصة ساعة يعتبر أن الكلمة أصل الوجود ، يقرر «في البدء كانت الكلمة» مجتمع هؤلاء يعلن أن البدء كان صمتاً ، وحركة ، ومنهما تنبع دلالة مصيرية كونية فهمت منهم في النادي أنهم يريدون أن أفصح عن سبب رحلتي وأن أشير إلى انطباعاتي عن مدينتهم وكيف أصبحت الأرض بانسيابها ؟ إلى أيه مرحلة وصلت في سلم التطور وقفت فضجت القاعة بما يشبه الضحك المكبوت ، وصفقت الغصون ، صُرت الخناجر فعلمت أن وقفي ليس مرغوباً فيه ، جلست ، وملت بجانبي كمن يتكئ فشعرت عندئذ أن الجو ملائم ، ثم أخذت أوحي بالاشارة ما يجرى على أرض البشر من شؤون وشجون ذلك المخلوق الأحمق الغارق في الجريمة والفحش ، لذلك فقد ضجرت فتجاوزت منطلقة إلى مدينتهم ، أشعرتهم أن مدينتهم أعجبتني ،

وأنها تشبه أن تكون مدينة أحلام وسلام ، كتلك التي تصورها فرنسيس بيكون أو أبو النصر الفارابي ، وأمتنعت في الشرح الرمزي:
ـ رفعت يدي إلى فوق وعلى مداها ، ثم قطعت باليد الأخرى كمن يضرب بسيف ، كناية عن أن الإنسان ارتفع بعقله ولم يرتفع بقلبه.

ـ مددت أصبعي في اتجاههم ، ثم مددت يدي أفقياً كمن يسبح ووجهتها الغرب للمعنى أنهم بالذات ساروا وبلغوا المدى ، وأشرت على صدري بإبهامي وضربت على صدري بقبضة يدي ، وضغطت على أضراسي ، لأفهمهم أنني حاقدة على الإنسان ، مشمئزة منهم مددت يدي ، ورسمت بكفها دائرة ثم رفعتها قليلا وباطنها إلى وجهي ، وظاهرها نحوهم ، ثم دفعتهما بعيداً وبسطت اليسرى وأدرت قبضة اليمنى عليها كمن يطحن ويتحدى ، وذلك لأعرفهم أن مشروع وجود الإنسان مشروع فاشل لاجدوى منه ، وأن سحقه ضروري ، كي يستريح ويريح الأرض منه ، ثم رسمت دائرة بكفي المنبسط وهومت بأصبعي كمن يتشهد وعدت فجعلت قبضة يدي مثل

كوز الصنوبر ورسمت علامة استفهام بتدوير يدي في الفراغ ، معنى ذلك أن مجموعة البشر الأشرار لم تخل من فضلاء . ثم وضعت يدي على أذني حيث يلمس الإبهام شحمتي الأذن ثم رسمت الصليب ورفعت يدي إلى فوق كمن يشق بها العجين أو أي سائل ، ثم بسطتها قبالة وجهي وهومت بها مرات ، معنى هذا أن الأسلام والمسيحية يحترمان الأديان وعلى الرغم من ذلك فإن مآسي البشرية حدثت بهما أكثر من سواهما ، ولم تستفد البشرية منهما إلا الفواجع ، وبقى الإنسان متخلفاً في وعيه وسلوكه أشرت على صدري بإبهامي وثم أشرت بأصبعي كمن يتشهد نحوهم ، ومددت يدي مبسوطة في اتجاهم ، حركتها مرات ، ثم أملت أصبعي إلى يمين أو شمال وضربت على صدري كمن يستل خنجراً ليطعن به نفسه ، وذلك لأفهمهم أننى أريد أن أعيش بينهم ، وأنهم إذا رفضوا ، قتلت نفسي عندما دققت صدري بيدي أفقت وإذا بي حيث كنت أجلس على شاطئ النيل .

كنت جد ناشطة بعد إفاقتي ، يحيطني أسف رقيق لأننى لم أبق في

مـدينة الجـراد تـلك ، عـزمت على المعـاودة والانـتظار لعلي أحظى مـرة تالية بالذهاب إلى تلك المدينة ، أوشك الفجر أن يطل وأنا مسترسلة في تأمـلاتـى المحلولات الطرية على وجـهـة النيل ، فلملمت أطرافي وشؤونـى ، عائدة إلى منزلي بمدينة القـاهرة متناولة جريدة الصبـاح ، قرأت فيـهـا أن القوى الانعزالية في لبنان سمحت للصليب الأحمر بإخراج الجرحى والمسنين ، والأطفال ، وبعض النساء الفلسطنينات من مخيم تل الزعتر وأنها المرة الأولى التى يقف هؤلاء القساة فيها موقفاً شبه إنسانى وقيل أن المملكة العربية السعودية طلبت منهم أن يتركوا المجال للصليب الأحمر كي يؤدي مهـمتـه ، هذا بلا شك عـمل عظيم تشكر عليـه السـعـودية نظرت إلى الحـوافـز الإنـسـانيـة والقـومـيـة والإسلامية .. حرب لبنان الأهلية أو العربية .. محتدمة منذ سنوات ولم نسمع للسعودية أو الكويت أو دويلات الخليج أو الأردن أو مصر صوتاً سوى التمنيات والابتهالات إلى الله سبحانه وتعالى مالك الملك، يؤتى ملكه من يشـاء وينزع الملك ممن يشـاء ويعـز من يشـاء ويذل من

يشاء له الأمر إنه على كل شئ قدير . تقبل يارب العالمين وقد تكون الصلوات والدعوات سبيلا أوحد لدى العاجزين أو المخادعين كيلا يتخذوا موقفاً عسكرياً حاسماً : الصلاة وحدها كافية على كل حال.. لكن المملكة العربية السعودية خصوصاً كان فى مقدروها أن توقف النزيف اللبناني ، وتحول دون وقوع مائه قتيل وثلث مليون جريح من وطن لايزيد عدد سكانه عن أربعة مليون والنصف حرب !! مجزرة !! فاجعة ؟ أرى أن الوصف اللغوي عاجز عن التعبير

من هنا وجب علينا نحن البشر الأصلاء الشرفاء أن نعيد النظر فيما يلى :

الإنسان وحضوره في الكون ، الدين وهل أثر في الناس ؟ الأخلاق النابعة من الضمير وهل لها وجود ؟ هيئة الأمم المتحدة ، ألها معنى ، وضرورة ؟ جامعة الدول العربية ما جداوها ؟ والدول العربية متى تخرج من الدويلة إلى الأمة ؟ إلى جانب ذلك أسئلة تحتضن أخواتها وتتولد ، كالموج يهزم بعضه بعضاً أو يسحق أويقتل بعضه بعضاً هل من الضرورى أن يستمر الإنسان على الأرض ؟ هل الكائنات الحية

الأخرى أجدر من الإنسان ؟

أليس من الأفضل أن يمحى من الوجود إنسان الأرض ؟ ثم هل بعد قنبلتي نجازاكي وهيروشيما وأفران هتلر ومعجونات الدبابات الروسية في المجر وأقبية التعذيب ، وليدة الحروب الصليبية ، ومحاكم التفتيش المسيحية في الأندلس ، وما كان يجري في العالم من مجازر الأسكندر وقورش وهنبال ، وأتيلا ، وجنكيزخان ، وهولاكو ، وتيكور لنك وماجره الاستعمار الأمريكى والأوروبي على العالم من ويلات ، وقبله وحشية اليهود طوال تاريخ التوراتي الطويل ، هل بعد ذلك كله من أمل في صلاح الإنسان الذي يعد ويكدس القنابل النووية والهيدروجينية للفتك بالإنسان الآخر ؟ . دعت البوذية والأخناتونية والكونفوشيوسية ، والمسيحية ، والإسلام إلى السلام بين الناس فهل أفادت جميعها أكثر من أن زادت من حدة الشراسة العصبية للسحق المبيد من أتباع دين ينقضون على اتباع دين أخر ؟ كذلك ، هل لطفت الماركسية من عنف الشقاء المحيق بالإنسانية أم أنها أضافت إليها شقاء

جديداً ؟ أما السؤال الأهم فهو الذي ارتسم على حدود الأفق ، وملأ ما بين المشرق والمغرب وهو ، هل يعيش بلد من بلدان العالم اليوم بدون عداوات وثروات وحروب ، وأحقاد ؟ إذن ما الجدوى من الإنسان ؟ وهل تستحق الحياة كل هذا العناء وما هي قيمة العيش فيها ؟ ولماذا لم يخلق رب الكون ناموساً للسلام يشمل الوجود ؟ أم أن الحياة في طول الكون وعرضه ، معلومه ومجهوله قائمة على لعبة لايعرف لها مغزى ولاتؤدي إلى غاية ؟! تناولت إفطاري في منزلي وأخذتني غفوة وأفقت بعدها مشتاقة إلى صديقتي نجوى تلاقبنا وجرينا في ميدان الحوار والتحدي بعلب الكوتشينة والأنس المتاح نجوى أمراة مناضلة وملتزمة حزبية متعلقة بمسيحيتها تعلقها باشتراكتها ، وهي على حدة ذكائها وشدة موهبتها تبدو بطبيعتها كطفلة مع أصحابها وهذا جانب من تناقض في طبيعتها ، لذلك فمن الصعب انقيادها ، لعنيف الحوار معها ، ومع ذلك تدرك فيها أصالة المنبت وإنكار الذات ، ما علينا ، فقد كان أثيراً لدي وعزيزاً على ، اعتبار ذنوبها إلا نوافل وهفوات ،

وإذا لزم الأمر فأنا أسعى دائما وإعتذر عنها إذا هفت أو تجاوزت فهى مثل ولد من أولادي ، طاهر نظيف ثم آخذنا نتجاذب الحوار وسألتها ثانيه . .كيف حال أمتنا العربية وهي في مقاعد الاستعراض المسرحي بالعراق صامتة ناعسة الجفون ؟ لا أرغب في الحديث عنها ، ولكنها بدون جفون ناعسة هل تأملي في أن تتوحد؟ طبعاً ، ولكن بعد أن نوقظها ونمنع مخدر النعاس عن جفونها الساحرة . . وعن جفون لسانك الطويل أيضا ؟ رمزي !! عال . . عال. سورياليا كذلك مدهش! تعمل في العراق رمزيا وتطلق سوريا لزوم حسن . أنا في حالة تشبه حالتك ، فقد هجرت جهنم إلى العراق طراوة نخيل الظلال، ومازلت أعمل من أجل تلك الوحدة ولكن . . ولكن . . ماذا ؟ لكن وألف لكن . . لاحوار مع الإبهام . أو الكتمان طيب ، ألا ترى معي أن تخلف العرب ناشئ من إمعانهم في البداوة رغم الطلاء المدني؟ إنهم غائبون جملة عن العصر !! زيدى على ذلك كراهيتهم فيما بينهم، مرحلة وتمضي . .

ـ وذلك التخطيط المستتر ، المتآمر من الدول الكبرى في الشرق والغرب تساندها دول عربية تجهد جهودها لتحول بين الشعب وبين غاياته التي يرمي إليها كي تحتفظ بمكاسبها ، وتوسع آفاق سلطانها على حساب العرب المتخلفين المسحوقين . والأغرب من ذلك أن بعض الدول العربية الإسلامية تثير في شعوبها نخوة عربية أو سامية تمت إلى ما قبل الإسلام بصلات ، وذلك لكي يسترسل التناحر ، والتخلف عن ركب العصر . ثم ألا يضحك تسمية دويلة من ربع مليون برلمان «مجلس الأمة » ودويلة أخرى أقل منها حجماتثير المشاكل في سبيل الحدود الآمنة والمدى الحيوي وتبدع إبداعاً فنياً عبقرياً في اتخاذ الأبهة المهرجانية للتمثيل الخارجي والاشتراك في المؤتمرات بما يزيد عما لامريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا ؟

هذه الدويلات تباركها الدول الغربية كي تجهزها يوما فتكون لقمات سائغة لإسرائيل ومن هم من صنف إسرائيل مرحلة وتمر وهذا الكذب الذي يغرق في بحره شعبنا الكبير وذلك التراخي عن الجد

والمثابرة ، وتلك القسوة التي تتجلي في ملء السجون بالأبرياء ومن هم كالابرياء من أصحاب الفكر الحر ، وتعرضهم للتعذيب والقتل ، والاذلال بما لايعد تنكيل الإسرائيليين إزاءه جزءاً من كثير .

ـ مرحلة وتمضي كثير قل لي يا زوجي هل بعد صحف لبنان صحيفة عربية واحدة حرة ؟ وهل هنالك عربي واحد يستطيع أن يعبر عن أفكاره بحرية ؟ وهل كل ماجرى في فلسطين ، وأريتريا ، الخليج ، والسودان ولبنان . وأخيراً العراق ، شئ سوى مسرحية يتفرج عليها العرب ؟ مرحلة وتمضي .. ثم ، لماذا لم يوجد إلا قطر واحد أعلن «أرضنا للعرب » وهل تلاقي الانتفاضات التحررية في بلاد العرب سنداً إلا من قطرين فقط ومن سواهما الهلاك ؟ بينما يغط باقي الدول العربية في نوم هادئ ، حالم ملائكي والذين يصحون منهم على يقظة بكماء صماء يفضلهم بها أصحاب القبور ، لولا بسماتهم العذبة ، وخدودهم الموردة .

ـ مرحلة وتمضي .. أكاد أجن من مرحلتك هذه التي تقبع في سمعي

ولاتمضي إلا إذا مض عقلي أكاد أيأس من ثورة عربية تستحق اسمها : كاسحة ، ماحقة ، بانية ، مقتحمة ، تضع هذه الأمة في خط التاريخ المشرف المستوى الأعلى وأكاد .. أكاد أقول لك للمرة المليون : مرحلة وتمضي ..

- يا زوجي « في عرضك وأين لك المشاكسة والمقاطعة وفرض الرأي؟ وأين شراستك البدوية ، وأفكارك الحزبية ، وحبك للكلام و ..

- مرحلة قد أوشكت أن تغيب ها أنا مرة أخرى بين الهياكل العظمية أحاورها وأداورها في سبيل أن يعي الكائن البشري الحي موقعه من العالم ، مثلما وعى الذى ودع الحياة الدنيا وأصبح له فى العالم الآخر شأن ، وشأنان وددت أن أفهم هؤلاء الهيكليين الأموات أن عليهم واجباً يقضي بمحاولة تبديل أشكالهم ، وأن يعودوا لحماً وينظموا مجتمعاً ، ويعملوا على تطوير الحياة الثانية وتصعيدها . وبمعنى آخر أن يجعلوا للموت صنيعة تختلف عن تلك التي عانوها . كانوا متحلقين حولي يجلسون القرفصاء بعد أن قاموا بطقسية

الرقص، وانتشوا أيما إنتشاء ، إذ كان يسمع لقرقعة عظامهم ما يقلق ويخيف ، فيذهل ، لكن ذلك جميعه كان في نظرهم موسيقى للسمع وحركات أجسامهم كان لها ايقاعها الساحر المنتظم ، ألفت هذه الكائنات الغريبة المخيفة ، صرت أنس لها . ولو أن واحداً سواي فوجئ لها يوماً لذهب عقله جملة . قال لي أحدهم وكان اسمه منفتاح ، عاش منذ سبعة آلاف سنة ، قريباً من ذلك المكان : إنه كان حارساً في قصر الملك يعبده ويقدسه ، ويشعر أنه كان قادراً على كل شئ ، بينما كانت تعتوره أفكار تفاجئه بين الحين والحين ، منها أن الملك الإله يجوع ويعطش مثله ويتعب فينام فكيف يكون متصرفاً بالكون ومنفتاح ما زال ظلا من ظلاله ؟ ثم إن صاحبنا تعجب مما رأى وسمع في القرن العشرين ، فقد قرأ الصحف اليومية خلسة ليطلع على مجرى الأحداث. الأموات عندما يخلعون ثوب العيش الدنيوي ويلبسون عري الموت ، يصبحون منكشفين ، رائين ، عارفين بكل لغات الأرض والسماء ، وتبدو الموجودات شفافة لديهم تريهم أبعاد الأكوان ، يعني

بلغة أهل الدنيا ، أنكشف عنهم الحجاب ، منفتاح أسف لأن إنسان العصر الحاضر أصبح أشد قساوة وهمجية من إنسان القرون الخالية ، ذلك الذي لم تكن وسائله تمكنه إلا من القتل بالمفرد ، بينما العصري اليوم يفتك بالجملة وزادت دهشة منفتاح من هذه السيارة ، والطيارة والباخرة والغواصة ومن استطاع خرق حزام الأرض والسير فى الأفلاك وكشفه سر الذرة ، قلت له : منفتاح أفندى انت ذكي جداً ، وطيب العنصر ، فما ذكرته عن إنسان العصر صحيح ، خاصة تقدمه في مجال التكنولوجيا ، ولكنه مازال متخلفاً في مجال الأخلاق ، وتقدم مني توت غنخ ، الذي عاش منذ الفين وخمسمائه من السنين فقال :«أعجب كيف يموت قورش .. وكونفوشيش .. وزرادشت .. وكيف سمح الناس لأنفسهم أن يؤمنوا بمبادئ تختلف عن مبادئ زرادشت وماني ؟ سمعت بعد رحيلي عن دنياكم أن الاشتراكي اليوناني أفلاطون ، وأنهما مهدا لماركس . ولكنه قد فتح فكيه زيادة عن اللزوم، وضغط على أسنانه وتثاءب فأرعبني إنه كان سعيداً

بسيطرة مكه على العالم العربي ، وكان لا يصدق أن رعاة الغنم والبعير يحطمون إمبراطوريتي كسرى وقيصر في مدى لايصل إلى نصف قرن ، واعتراه زهو ، فأخذ يقهقه مما أرعب قلب الليل ، ثم سألني : هل يمكن أن يعود العرب في وحدة كتلك التي كانت ؟ سكت ، وتمطي « الشاهنشاه» فقال : عشت في هذه البقاع منذ خمسة آلاف عام . وكنت قبل ذلك بما يزيد على عشرة آلاف من السنين أحيا شخصيتي ذاتها ، وفي مثل مكاني الأول ، كمن يكتب صفحة ثم ينسخها من جديد ، وكنت فلكياً أرصد النجوم . وأعين مواقع الكواكب ، وجهة سيرها ، وأطلق عليها الأسماء ، وقد سجلت على الأحجار والخشب وسعف النخل أشياء كثيرة عن نظام الفلك ، وتبدل المناخات والفصول وجاءني كثيرون من مختلف أنحاء العالم يطلبون العمل عندي ، غير أن عصركم تخطى عصرنا كثيراً في مجال الفلكيات وبما استحدثتموه من وسائل ، ونفذتم إليه من آفاق ، ثم إنني أشكر الفلكيين العرب على أنهم نافسوا اليونان ، والبابليين ، في

مـجـال علم الـفلك ، ولـم يكـن يـدور في خلدي أن البـشـري قـادر على بلوغ الكواكب ، على أن الشئ الي يهزني هزاً هو أن إنسانكم قد تمتع أكثر منا بأطايب الوجود ولكنه بدلا من أن يزيد في التعارف والسلام زاد في الحقد والبغضاء ، فأية أم أنتم ؟ أدرت وجهي خجلا ، وسمعت طقطقة رقيقة عرفت بها أنه « فدي بن عاد » حاول أن يلفت نظري قال « فدي» عشت في اليمن وتجولت بين الاحقاف وعبقر ، وقصدت الجنوب ، ولم أذهب ناحية الشمال ، وعايشت ملوك شبه الجزيرة أيام كانت مكسوة بالغابات ، تهدر فيها الأنهار ، وتشمخ العمارات والقصور ، ولم تكن اليمن آنذاك إلا جناحاً من ذلك الطائر الكبير .

كان الحكم في بلاد شبة الجزيرة عادلا ، والحياة مزدهرة ، ولكن تقلبات الأرض جعلت عاليها سافلها ، وغمرت معظمها برمال حمراء ، وأصبحتم أنتم سكان بلاد العرب تقطفون ثمرات الموتى من تحت الرمال ، وما اختمر طيها من بشر ونبات وحيوان ، وتبيعونه ذهباً أسود ، أو ملوناً ، وتستغلون به الإنسان بدلا من أن تسعدوه

وتتخذون من رفات القدماء جسداً وفكراً وسائل لإذلال الشعب.

قلت له : لو كان هؤلاء عادلين في شعوبهم ، مرتفعين إلى مستوى إنسانية الإنسان ، لما وضعوا الثروات الضخمة في المصارف والبنوك الأجنبية ، ولحاولوا أن يفيدوا الاقتصاد العربي ويستفيدوا بدلا من تجميده وذهاب منافعه إلى الأغيار ، بل إلى من هم الأعداء على الغالب ، إلى جانب ذلك آراهم أهم عامل لزرع التخلف ، وإعاقة عجلة التقدم لا في الشرق العربي وحده بل في كل العالم وما ذلك إلا خشية من أن تتزحزح الكراسي من تحت عباءاتهم المهدلة أو تطير . هنا ، غضب مني الأستاذ فدي .. وكادت تحصل بيننا مشادة لولا تذكري أنه لايؤثر فيه اللكم ، والرفس والصفع لأن ناموسه يختلف عما على الأرض ، وربما قادني بوليس الهيكل إلى زنزاناتهم ، لذا تصنعت الهدوء ، وتجنبت إثارة حميتي العدنانية القحطانية ، وقلت له : وما شأن الأموات الذين تركوا رفاقهم ومضوا بالأحياء الذين هم أصحاب حق وحرية يتصرفون كما تسمح لهم نواميس الحق الطبيعى كما أنني

أراك ظلوماً يا أستاذ فدي ؟ إذا كيف تلوم أحد أمراء البترول الذي كان شيخا ولايملك سوى عنيزات يحلبها لمن أتاه أو لنفسه ثم مَنَّ الله عليه سبحانه تبارك وتعالى وهو لايسأل عن كرمه وعطاءاته بهذه الأنهار من الذهب فتمتع بها وشيد القصور والحدائق مما أثار حسد الحاسدين فهّرب أمواله إلى الأوربيين والأمريكان والغرب عامة لأن لهم صناديق ذات أقفال متينة ، وواصل حياة الدعة ، والصفاء ، وخلو البال وكأنه حمل وديع أو حمامة مطوقة وزاده الله نعمة ومتعنا به وأمتع سائر الناس ولقاه في الآخرة جنات النعيم تلك التي تجري من تحتها الأنهار بدلا من صبره في الدنيا على صحراء لاماء فيها إلا في الحفر والقرب أو علي أمواج السراب . ضحك « فدي » مني ضحكات مجلجلة وصاح : هل تجدين فرقا بين من يموت ومن يعيش ؟ يا أختي اعلم أن الحي ميت ينتظر وأن الميت حي جاء موعده لسفر ، وكل منهما يشكل جناحا لهذه الديمومة التي تحرر ذاتها . هنا ، سمعت صوت اصطكاك عظام ، طقطقة ، نظرت بعدها ساعة نهض واحد ذو هيكل ضخم ودوي

بصوت أجش قائلا : أنا « شاذر بن ماذر» عشت منذ عشرة آلاف سنة في هذه البلاد ، وكنت أميراً تطيعه معظم الناس وكانت الحياة هانئة سعيدة ، فالكل يعمل ، والأرض تمنح خيرها ، والبيوت قصور والأرض ينابيع وترع ، وأشجار وحقول ، والعدل يرتسم بين الناس كأنهم لفيف بيت واحد ، وقد عرفت بعد عهودنا أن أهل بابل وأشور ازدهرت بلادهم وأثمرت لكنهم تحكموا وتجاوزوا ، ولم تكن حال أثينا وقرطاج وروما بأعدل من حالهم .ولا أخفي عليك ولا أكتمك القول فهم على الرغم من طبقيتهم فإنهم كانوا أسعد حالا من سكان الأرض في عصر الفضاء اليوم ، «أنا شاذر بن ماذر » مالفظ جملته الأخيرة حتى ظهر هيكل عظمي هامس منتصف الحلقة ، والتزم الصمت ، ثم هوم بيديه وهمهم ، وأخذ يتحدث بصوت هامس عملك أيها الإنسان المخدوع فقاقيع تعبث بها الأمواج وأصداف تلهو بها صبية على رمال الشاطئ ، وربما بلغت الكواكب ، معظمها ، وأصبحت تتخظر بعد حزام الأرض فلست إلا مشروعاً إجرامياً يجب أن يمحا بعد

أن يوقف شره المستطير ليلقي في هوة العدم . قلت له على مهلك يا أخا العرب ، اترك عبوس وجهك ، وسواد قلبك ، ما أظنك إلا أنك كنت من المشاغبين في الدنيا الأولي ، وأنك ذقت مرارة السجون ، وقسوة العقاب ، ولذا لم تذكر اسمك قبل أن تتكلم فصاح وقد أصطكت عظامه : مهلك أيها البشرية المغرورة أتجهلينني أم تتجاهلينني أنا « همدر بن قندر» فيلسوف ما بين النهرين منذ آلاف السنين وناسخ القوانين التي وصلت إلى حمورابي وقد حلبت أشطر الدهر ، فوجدت أن لاخير في حياة البشر وأن عيشة البرية أفضل منه ألف مرة « أفضل من أفضلكم صخرة لا تظلم الناس ولاتكذب «سكت» همدر بن قندر وران صمت على الجميع فتحفزت للوقوف وأخذت أعد ببيان منمق وتعبير منسق ، لألفي في روع هؤلاء الأموات الذين عاشوا حياة أخرى أنهم مظلومون ، وأن حياة ثانية كتلك التي يحيونها ما هي إلا البشاعة بعينها والسجن المحدد ، والأسر المخنوق المضيق وأن عليهم أن يضعوا حداً لما هم فيه من وجود بلا معنى ، بدلا

من أن يشنعوا على الإنسان ، ويتهموه في دنياه بالحمق والجريمة واللا جدوى ، لكن القمر ظهر واختفت الهياكل العظمية ولم أتم كلامي .

أحسست عند عودتي إلى منزلي ، أن الهياكل العظمية لم تكن مسرورة من موقفي وأن بعضها كان متفقاً معي فقضيت وقتا ليس باليسير وأنا أخشى العودة إلى موضعي من شاطئ النيل خوفاً من أن تؤذيني تلك الهياكل العظمية.

غير أن السمر ليلا على شاطئ ذلك النهر المبدع الولود عاودني ودفعتني أشواق حب الاكتشاف إلى أن أقصد النهر وأتمتع بلطف شاطئه الفردوسي محاولة ترضي أصدقائي الهيكليين الذين أنست بهم، وحننت إليهم فدلفت إلى الرصيف بعد منتصف الليل بعد أن تناولت وجبه من السمك والجمبري وشراباً حسناً من الصودا المثلجة، ومشيت لأقعد فى مكاني السابق ، لم تمض الدقائق التي استسلمت لشرودي ، حتى غشيتني نسمة مخدرة فأفقت على لمس يد تداعب كتفي ، شيخ جميل الوجة ، مشع الملامح يبتسم ويهش لي حييت فرد

التحية بأحسن منها فدعوته إلى الجلوس ، فألقى ما على رأسه وقعد ، وبان تكوين صدره العاري المهيب .

من تكون أيها الطيب الطلعة ، أنعم علينا وعليك الله ورحم أبوينا ؟

ـ أنا فيثاغورث . بلا دعابة وحياتك . والتزم وقاراً يلائم رصانة ملامحك ولون شعرك . وحياتك إنني هو .. وأنا طاليس وانكسمندر وفيثاغورث وهرقليطس ، وديموقريطس ، وأبو العلاء المعري . طيب ، طيب . أنت . أنت . وأنا . وأنا . نحن أرواحنا حلت في بدن بدنين ، لافرق هون عليك ، أعطني علامة تثبت أنك الاستاذ فيثاغورث .

أنا يا صديقتي مهاجر أسكن الأعداد .. بدأت من الأحادية ، ولكنكم سبقتموني معشر العرب باختراع الصفر ، والصفر ما هو إلا عدد يقف بين الواحد وبين كل عدد . فهو شبيه بمحطة للانطلاق . أو هو بمثابة تكثف جواز المرور على جسر من عدد إلى عدد ، بمقدار ما يكون في الشئ ، تكثف عددي بمقدار ما يكون ذا معنى ، ثم أعلمي أن الموجودات أرقام هي جواهرها ، وأصولها ، ولاأعرف واحداً من

تلاميذى تفوق على مثل « جابر بن حيان » الصوفي الكوفي الكيميائي السيميائي فهو الذي جعل الفرد عدداً ، الاسم عين المسمى وأعلن أن كل شئ قابل للتحول إلى كل شئ وأن أصل المتعدد واحد .

ـ وهل عرف الاوربيون ذلك العربي ؟ لايقال للنسيم والشعاع عرفتك بل يعاش فيه استرسالا من جيل من عصر إلى عصور . ولكن الأرقام لا تسمو سمو الحروف . الحروف أرقام ، الأرقام حقائق وجودية ، هي الاصل ، بينما مظاهر الأشياء أعراض وفروع . يعني أنك يا أستاذ فيثاغورث مكون من مجموعة الأعمال الأربعة : طرح ، جمع ، قسمة ، ضرب !!! ثم ألا تدري أن هذه الطرائف قد تبدلت اليوم ، وأن الرياضيات أصبح لها نهج آخر ؟

ـ يا صديقتى أود أن تفهميني فأنا جئت لأريح الفكر الأثيني من رتابة الجمود المخيم على الفكر المادي ، ولأدله على طريق المصدر ، وآفاق الشمول وكى أخرج به من الملموس إلى الذهني . إذا كانت بلاد التوراة أعطت ثلثي الأنبياء والرسل وبلاد القرآن أعطت الثلث ، فإن

بلادكم أعطت الفلسفة ، ولكنكم لم تظفروا أيها المساكين بنبي واحد منكم .

ـ لاحاجة لنا بذلك فالفيلسوف يتجاوز السطوح إلى الأغوار أى يغوص في عمق النفس البشرية لكن النبي يتخطى السطوح والأغوار إلى الأزل والأبد وما هو محيط بهما ، وفوقهما .

ـ النبي متميز بفتحة واسعة في بؤبؤ عينه . لماذا لاتقول عينيه ؟ القضية قضية عدد ثم . . والفيلسوف يلتفت إلى منطلق العالم الباحث ، فيقول له : قف هنا ، فإنك لن تستطيع مواكبتي ، ويأخذ في التجوال فوق وتحت يميناً وشمالاً ويقف . وأنت ؟ أنا بدأت ، وانتهيت ولاشئ في الوجود إلا وهو ملحوظ في فكري وتصوري . حسن ،ولكنك لم تعن بشأن الانسان في مجتمعه من جهة السياسة وأسلوب الحكم لاتضحكيني وتعبثى ؟ لأنك لم تفهمى مقدار حرصي على وعي الانسان ، حيث أردته رقما موصولا بكل عدد ، ليصبح الجزء كلا ! أنت أول صوفي من الفلاسفة . هل درست اللغة ؟ ماذا ؟ ألا أننى

تخـرجت من الأزهر ؟ كنت أود أن يثـمـر أزهرك ؟ مـا كنت أتوقع أن يجرحني فيثاغورث ما كدت ألفظ كلمتي الأخيرة ، وأنظر في الأرض حتى اختفى الشيخ العددي ، واختفي معه أنسي وصوابي ، إذ كنت قد رغبت في أن لايكون ثمة فراق تثاءبت ورفعت يدي أتمطى وأنا أستعد للمغادرة مدارة في نفسي أوهام خيالات الفلاسفة وبدا لي أن أسرح ببصرى قليلا صوب النيل حبيبي ، حيث الجزيرة الصغيرة ومسرح الطقس الهيكلى فشـرد ذهني ، ثم رجعت إلى نفسى وهممت بالاستدارة فقابلني رجل ظننته للوهلة الأولى صديقى فيثاغورث الذي انصرف وغاب منذ لحظات ، عاد ليودعني لنضرب موعداً آخر أو أدعوه ليقيم عندي في مدينة القاهرة لكننى وجدته زائراً آخر فقلت له : ظننتك فيثاغورث أستاذ الرياضيات البارع ولكن على الطريقة القديمة .. فإذا بك رجل آخر فمن .. تكون نعم من تكون غفر الله لك ولنا وسائر عباده الصالحين ملحوظة مهمة يا سيدتى إذا كان عباد الله الصالحين فهم لايحتاجون إلى مغفرة لكن الطالحين هم الذين يحتاجون للمغفرة ! أوه !!! أنت من العيار الثقيل أرجوك من تكون ؟ أنا

فيثاغورث ولكن بحجم آخر ، وأنت أيضاً بوجه زمني يختلف عن وجهي .

ـ ووجهك ووجه فيثاغورث السابق ، فلا فرق .

ـ عجيب !! هل يستطيع الأستاذ فيثاغورث أن يبدو ويظهر في أشكال مختلفة كأعداده من الواحد إلى العشرة إلى الألف فالمليون ، إلى الكاترليون ؟ في الحقيقة أن ما ذكرته صحيح وصحيح جداً هه .. يمكن أن يكون أخونا طه حسين جاء من عالم إبي العلاء اسمع ، ودعك الآن من الهدف ، إذ عليك أن تعلم أن الكاترليون متكون من الواحد ، والواحد من الصفر ، و .. ينتهي بالصفر ولأن الصفر هو أكبر عدد على الأطلاق ، مثل قطرة الماء التي هي مبدأ الاوقيانوسات كلها ، وأصلها من الرطوبة ، والرطوبة من شهوة الحياة في أن تتعدد ، وتتناقض ثم تتفاعل أوه !! أنت عظيمة جداً ولست كما توقعت من البساطة والغفلة قلت إنني عظيمة . بينما قال فيثاغورث لي « إنني لا أفهم » إذن أنت لست فيثاغورث تراني ذكية جداً ؟ عظيم مرة أخرى ، أتود أن تقترب من تلك الشجرة حتى لا يلفحنا الوهج الزاحف ؟ أتود التفضل معي إلى منزلي حيث المكيف المبرد للجو نواصل الحديث ؟

بعد أن تناولنا طعام الصباح وشربنا الشاي ، انفردت به في غرفة المكتبة وبدأت بسؤاله : بالله عليك يا سقراط افندي ، لماذا لم تنج بنفسك بعد أن هيأ لك بعض تلاميذك طريق الخلاص ، وفضلت شرب السم ؟ صمت سقراط فترة ثم إنطلق ورفع رأسه ليقول : ليس في حياة الفرد ساعة يسلب حقيقة جوهره القائم في الحرية والكرامة من خيار فطرح العالم ورفضه أصبح حتمياً لديه ، إذ ما قيمة عيش يقال فيه عن سقراط معلم الفضيلة : « إنه هرب » مهما كانت نتائج هربه ممهدة لذيوع تعاليمه.

ولماذا تجهد نفسك في سبيل الفضيلة مادام الانسان يعود إلى شروره وغاياته ؟

ـ كلامك فيه تورية . فأنت تذكرينني بما كان يردده الإنكاريون.

ـ من تعني ؟ السوفسطائيين . لا يستحقون هذا الاسم فهؤلاء أرادوا تحويل الحياة إلى عبث الذئاب بفرائسها وإسدال الليل فلا رؤية ، وسد

الآفاق فلا رؤيا ؛ لذا وقفت متحدياً لتجعل للانسان معني ، ويبرز الوجوده وهذا لايتسني إلا بإيمان حار فاعل ، بإله ، وإنسان ، ومصير .

ـ سمعت أنك شنعت على الآلهة وعلى جمود الطقس ، وأنها لم تعد صالحة لبعث الشوق إلى مجهول معلوم . وقد كنت توزع أفكارك على الناس أينما وجدوا ولكن تحدد معالم فكرك لو أنني حددت لانتهيت تذكرين ماذا فعله أخي المسيح بعدي ؟ فقد اتبع نهجي ، دعا إلى القيم والكليات ولم يرسم شريعة لذلك سترين فيما بعد كيف أن الاسلام رسم للإيمان شريعة فجمدته على الرغم من أن فيه عناصر هائلة للتجدد ، والاستمرار فقد جعل باب الجهاد والاجتهاد مفتوحاً للنضال والفعل

ـ الآن تأكدت أنك سقراط الحقيقى قل لي سأقول .

ـ لماذا أسرف تلميذاك أبيقور وأرسطوطاليس في النفعية والحسيات

بينما غالي تلميذك النجيب ديوجين في الرفض ؟ قلت لك إنني لم أشأ أن أحدد المقصود من الفضيلة التي دعوا إليها ردا على جحود السفسطة لأن الفضيلة قيمة ، والقيمة رؤيا فوقية وعملية ، وقد أحسن تلميذي أفلاطون بنسبتها إلى عالم المثل ولاأكتم أنني معجب بتلميذي أبيقور الذي آمن بمبدأ اللذة الحسية ، وبولدي أرسطوطاليس العقلاني الواقعي ، وهما لايختلفان عن شقيق روحي ديوجين فالغاية لديهم واحدة وإن كانت الوسائل متباينة ، وإن لديكم في تراثكم العربي شواهد من أبي نواس الذي ، والمعري والرفض .

ـ وهل عرفت نفسك على حقيقتها يا معلم ؟

ـ أنا مؤمن بمصدر ، ولست أدعي أنني عرفت نفسي بل عدت أنشد تلك المعرفة ، لأجد الإيمان بالعقل ، والفضيلة ، والمصدر إيماناً يؤدي إلى طريق المعرفة . طريق ؟

ـ نعم طريق المعرفة ؟ حتى . .

ـ أوه !!! لدينا نحوي مات وفي باله قلق من حتى وعلى « حتى » لاتسخرى حتى هي الإنسان ، هي الصلة بين أفراد المجتمع ومن أجل ذلك لجأت إلى الآلهية والعقل والحكمة ، ومن أجلهم علمت في البيت ، والشارع ، والمتجر ، في كل مكان فيه إنسان ومن أجله شربت السم كأنه الخمر .

ـ سقرا .. سقراط .. ألا تستر الحقيقة ؟

ـ كيف ؟ أنت كنت هارباً من زوجتك ، وعشيقها في الشارع ، هاربا من ضياع حكمتك من الإنسان والحياة جملة .

ـ هارب .. هارب .. اعترف ..

ـ وأخذت أصيح مرددة : هارب .. هارب فجأة أنطفأ التيار الكهربائي ، وتوقفت آلة التبريد ، فقمت لأبحث عن عوض لها ، فأختفي سقراط ليقوم أمامي وخلفي رجلان وقوران : أحدهما رقيق طويل ذو أنف أقنا ولحية دقيقة ، والثاني قصير ، بدين ، ذو صلعة

براقة ، ولحية كثة ولكل منهما ملامح تشع رضا وجلالا ، وتتوهج من بين جفونهما عيون تفيض أنسا وحباً

ـ الأول : حياك الله يا أخت العرب . الثاني : طاب يومك أيها الأخت المصرية الكريمة .

فأجبت : أهلا بكما وسهلاً ومرحباً ، ولكن هل انقسم المعلم سقراط نصفين ؟ منذ لحظات كان هنا .. !!

ـ الأول : هونى عليك فهو بنا ، ونحن فيه ، ليس المناخ غريباً فمهلاً . الثاني : سألت عن سقراط وهل أنقسم شطرين ، فهل تذكرين كتاباً اسمه « المائدة » لأحد تلاميذ سقراط ؟

ـ نعم كان مرجعي في بعض كتبي الأكاديمية . إذن أقدم لك أفلاطون بشحمه ولحمه .

ـ أفلاطون : أتذكر كتاب البواطيقا ، وآراء المعلم الكبير أرسطو عن الفن ، وفكرة التقليد ؟

- بلا شك أذكر وإن كنت لا أذكر فلست جديراً بلقبي . أفلاطون : أقدم لك أرسطو كاملاً غير منقوص ياه !!! أي حظ كبير لي ، ويا فرحة قلبي وروحي ، فأنتما اللذان شغلتما علماء المسلمين للتوفيق بين أراء الحكيمين . عفوا عفواً . لحظة لأصنع لكما القهوة الاثنان : لاقهوة، ولاخمر ، ولاشاى ، بل حديثا وحوار

- ولكن أخت حتى ؛ أصبح مطمئناً . أود أن أسأل .. أرسطو : ابدأ يا أفلاطون

- كيف يحق لك يا شيخ أفلاطون أن تبدأ بحل مشكلة الإنسان علي الأرض من فوق ؟

- أفلاطون : كان عليك قبل أن تسأل سؤالك هذا ، أن تعدل عن الحوار بين سكان ذلك الكوكب البعيد « وادي النمل » في مسرحيتك الذهنية ذات الاسم المعهود وأن تعتمد على أن الكون وحدة لاتتجزأ . هو ذاك . وكوني كتبت مسرحية جانبية ، وأنت بنيت عمارة فلسفية

للمرة الأولي في تاريخ الفكر البشري ، ونظرت شمولياً إلى قضايا الفرد والجماعة ،وحضور الكائن البشري في الكون اسمح لي يا شيخ أفلاطون أن أقول لك : إنك لم تكن جذرياً واقعياً بحال.

-بلى . ولكن جذور أشجاري كانت للأعلى كالإنسان بالذات فهو شجرة ذات جذور علوية آوصاله !! جئنا نكتب الشعر !اوهل هناك حل لأصعب القضايا الكونية بغير الشعر ؟ تمهل . تمهل . لقد أمسكت بك ، فإذا كان هذا من مبادئك فلماذا طردت الشعر من جمهوريتك ؟ لسببين : الأول أنني أريد أن أبني دولة للبشر كلهم والثاني أنني رغبت في أن أترك للشاعر مجاله الكوني الطليق.

-يالك من شاعر ! ثم كيف تجيز لنفسك أن تهدم العائلة ، وتشيع النساء ، وتقسو علي بشرية الجنود ، والحكام فتحرمهم من دفء الحياة الزوجية في بيت وجو خاص ؟ قهقة الاثنان عندئذ بصوت واحد له براءة الأطفال ، أتظنين نكهة مرح وسخرية ، ثم قال أفلاطون :

«ويلك أيتها المسطحة رؤيتها ، يا فتاة الألفية الثالثة الجاهلة أتظنين أن زوجك ، وأبناءك ملك لك ؟ ثم أتظنين أن أولاد الآخرين وزوجاتهم أشياء ليست لك . إن الجميع يا أختى هم أبناء الأم الكبرى : أرض الحياة . لكن .. دعكَ من لكن ، ولاتسئ فهمي ، فأنا لم أمنع أحداً من أن يختار بحرية وشوق طريقة ، وإنما أردت أن أمنع الحاكم من أن تسول له نفسه الطمع فيكدس ثروة الشعب في بيته ويسمح الجندي السلب والنهب .

- حسن .. أود أن أترك مجالاً لعزيزي أرسطو فهو يشرح لك كم أننا أجهدنا أنفسنا في سبيل هذا الإنسان الذي أحببناه وكم خيب ظننا .. أرسطو : لم تضع الحقيقة بين مثالية سيدي الأستاذ أفلاطون وبين عقلانيتي ، فالطائر له جناحان وفكرنا الفلسفي أحاط بشؤون الكون ، وقدم للبشرية حصيلة وفيرة مازالت مرجعاً لمفكري العصور ، ولكن آه وألف آه ..

- سيدى الحكيم ، لا تتأوه ، فقد وضعت في مدماك العمارة الكبري

لحضارة الإنسان أقوى ، وانفع ، وأمنع ، أحجار العقل ، لذا فهي باقية بقداستها مشعة علي توالى الأجيال ، ويكفى يا حكيم الدهور أن فتات مائدتك غذى فلسفة العالم .

ـ أرسطو : شكراً يا بنتي ، ولكنه غذاء دفع بالإنسان إلى ما هو أدهى من سيطرة الإرادة والغريزة .

ـ مولاي قل ما تريد إنني خجلة مما سأقوله لك الآن . قولي يا أبنتى فلن ألومك بحال ـ يا حكيم نعم يا أحكم .

ـ كيف كنت تنشد خير الإنسان ، وقد غرست في نفس الإسكندر حب الفتك والسيطرة ؟ قهقهة الحكيمان خجلت لها ، ونظر أحدها في وجه الآخر .

ـ ماذا ؟ هل أمسست شعوركما بجراح ؟

ـ أرسطو . : كلا يا ابنتى فهذا السؤال كنت أتوقعه منك ، وأشكرك عليه . إنه المطق الذي علمناه كان الإسكندر لعبتي الكبرى

في سبيل توحيد البشر ، صغته علي شكل آخر ، يختلف عن أبيه فيليب ، إذ زرعت في ذاته مثال أخي أفلاطون ومنطق عقلي الواقعي ، فأفرخ ذلك جميعه في تربة صالحة ، ثم دفعته ليصنع حياة جديدة للناس ، حيث يصبحون أبناء بيت واحد هو الأرض ، ولن يتم ذلك بحركة الفم الذي يعي ، بل باليد التي تفعل ! وبفم اليد التي تعي . ياه ! ! إنك لهائل يا حكيم الدهور ! وهذا ما فعله المسيح بعدي إذ قال : هؤلاء الذين لايريدونني ملكاً عليهم إإتونى بهم وأذبحهم عند قدمي . . قال ذلك ؟ إنجيل يوحنا . أفلاطون : تذكر قوله أيضا : ما جئت لألقى علي الأرض سلاماً بل سيفاً . كانت لها مناسبة . أفلاطون : التاريخ كله مناسبة . أرسطو : أما الرجل المنطقي الذي لعب اللعبة الكبرى على أبرع ، وأبدع ما عرف البشر فهو النبي محمد العربي . أرجوك ، لاتجرح شعورنا الديني ، نحن قوم مؤمنون ، فمحمدنا لايتصل بالاسكندر ولا فيليب أو قيصر أو هنيبال ، بل هو رسول من عند رب العالمين . الاثنان : يقهقهان . أفلاطون : ويحك يا

جاهلة الألفيه الثالثة !!! أترانا جئنا لنخرجك من واقع الحياة إلي سراباتها ؟ أنا أزهرية ، وشعوري الديني مرهف ، كذلك فإن عصبيتي العربية حادة ، نحن أكمل شعوب الأرض ، وأصحاب رسالة خالدة.

- أفلاطون : أحب أن أقدم لك صدفة براقة : أرسطو : مصاصة . عيب أنا أحترم وقار الشيوخ . الاثنان : ونحن نحب عبث الأطفال . كيف ؟ أرسطو : يا بنيتي عليك أن تعلمي بدقة أن حضارة الإنسان كل تام ، وأنها لاتقوم إلا على ركائز ست : العلم - الاقتصاد - السياسة - الاجتماع - الدين - الفن - وكلها متشابكة تتعاون في سبيل المعرفة ولاسبيل إلي تحقيقها إلا بالتعبير عنها ، ربما جاء التعبير حرباً أو سلماً ، فتلميذي الإسكندر أقام له عاصمتين سميتا باسمه : إسكندرية مصر ، وإسكندرية العراق ، وكان غرضه من الحرب ، أن يمنع الحروب وينفيها . فى عرضك ، لاتذكر لى الحرب . فقد كوتنى ، ودمرتنى حوادث فلسطين والعراق ولبنان ومصر والسودان أفلاطون : ألم أقل لك إنك تحتاجين إلي مصاصة ؟ أرجوك يا شيخ حافظ على الرصانة .

أرسطو : الأمر يا عزيزتي ليس أمر لبنانك وفلسطينك أو عراقك أومصرك أو سودانك لاشأن « روديسيا » وإريتريا ، وأرلندا» وحكايات البيض والسود والحمر ، بل إنه أمر الإنسان قاطبة وما قيمة إنسان وحضارته مستمدة من التاريخ ، والتاريخ سجل تلك اللعب القذرة بالحرب . حرب : لا سلم : نعم وأرجوكما أفلاطون : إطمئنى وكوني طويلة البال فإن الإنسان فقد إنسانيته.

-وأصبح كماضية في همجيته . أرسطو : ويلك غد الإنسان هو الله. عفوا أخاف من الكفر . آمنت بالله فنور حكمتكما من الله.

-أفلاطون : كن عاقلاً حكيماً . أرجوكما حان وقت الغداء ، وعندي دجاج ولحوم ، وزجاجات بيرة وويسكى ، ونبيذ .قلت ذلك فاختفيا تواً ، وندمت على أنني لم أسترسل معهما في الحوار . تناولت غذائي ، ونمت ، ولبست ملابسي القاهرية قاصدة شاطئ النيل ، وكانت الشمس تلامس خط الأفق مشيت حتى انتهيت إلى موضعى المعهود ، فجلست حيث كنت أجلس ، وتمنيت أن تتاح لى الفرصة

فـأخـبـر أصـدقـائى الهـيـاكل العظمـيـة بما تم بيني وبين الحكمـاء ، واسترسلت فى تأملاتي ، والنظر صوب الجزيرة الصغيرة ، وذهلت ولم أستـفق من شـرودي إلا على همس لطيف لي . آوه !!! كلهم يونان، رومان ، عرب و . . .

ـ واحد : على مهلك لسنا ممن تظنين ، فأنت قريبة من شيشرون وسيكا ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن حزم ، وابن خلدون ، وهيجل وشوبنهور وكانت ، ونيتشه وسبينوزار وأنسلم ، وماركس وسارتر ، وبرتراند رسل ولطفي السيد باشا ، وكمال الحاج ، ورينيه حبشي وجمال عبد الناصر وياسر عرفات يا رحيم يا عظيم يا لطيف ، ياجبار يا مغيث !!! أرحمنى يارب برحمتك الواسعة كل هؤلاء العظماء يجمعهم مجلس واحد ، وحول شخص بمفردة ؟ تلك أعجوبة المقادير !!! قال أحدهم : حلو منك يا بطلة أن تتباهى ويظهر شرر الغرور بين جفنيك ، ولكن مريضة ويحتاج هذيانك إلى علاج !! نعم علاج لجدك لأبيك وأخواتك وسائر أفراد عائلتك أفراد الدم حتى نصل

إلى آدم الذي خرج من الجنة وأخرجنا معه بسبب تفاحة ..-يا ويلي لقد أثرت عنفواني القحطاني المدري ! ربما وأخشى أن أثير عنفوانك الحميري والسبأى والمعني.

-أوه .. ستدخلني في عصبيات عصر الرشيد بالعصيات أرجوك أنا مصرية عربية متعصبة لعروبتي وحكوماتي اللطيفة

-طيب طيب ألا تحبين الحديث مع هؤلاء الكبار الذين صنعوا العالم؟!

-إنهم لايصنعون حتى سلطة طماطم.

-كن مهذباً شيشرون ، لقد تمادى الحديث بينكم ونحن نستمع

-أتحتاج إلى قطن فى الأذنين كى لاتسمع هذا الهراء ونحن نستمع شيشرون : لا .. لاتحتاج إلى الأذنين يا أختى فى عرضك ارحمينى من حدة لسانك .

-أنا أعرفك ثورياً وأخاف من ثورتك وغضبك.

سنيكا وتخافين أنا أيضاً ؟

ـ أنا يا أصدقائي الغزيزين ، أنت ورفيقك الأفندى شيشرون من شعب روماني والرومان كانوا اظلالاً لشجرة اليوان الحضارية ، اعطوا القانون والعسكريات ، مثلما أعطي إلا شوريون لبابل المبدعة ، والأتراك بعد العرف الخلافين ـ سنيكا : ما هذا ؟ نراك على هواك فى وزن الحضارة لكل شعب . ما هذا ؟ يا عمي وحياتكم ، ماذا جئتم تفعلون هنا ؟ لقد هززتم كياني وذهب قلبي من موضعه . شيشرون : (لسنيكا) الأخت تتكلم مثل عبد الناصر

ـ تخليا عن هذا (يضحكان) وأنت ؟ (أشرت إلى أحدهم) أنا أبو النصر الفارابي بن أوزلغ ، بن طرخان ، تشرفنا ، يكفى اسمك وحده ، وهل أحد سواك قال ما قلته وهو أثمن من كل فلسفة ؟

بزجاجتين قطفت عمري وعليهما علت أمـــري

فزجاجة ملئت بحبـــــر وزجاجة ملئت بخمــــر

فبذي أدون حكمتـــــي وبذي أزيل هموم صدري

الفـارابي : وهـل في ذلك من ضـمـيـر ؟ ونـسـيت ثالثـة وهـي تلك الطلة على زمن المجد ساعة التقيت بأبى الطيب في بلاط سيف الدولة . بارك الله فيكـمـا ، يا أبا النصـر أود أن أسـألك سـؤالاً الفـارابى مـقـاطعاً ليكـن سـؤالا يحتـضن سـواه . فـقلت عندمـا كـتبت آراء أهل المدينة الفاضلة ، هل كنت تلحظ سيف الدولة كنموذج كما لاحظة المتنبى ؟ أم أنك كنت متـأثراً بجمـهـورية أفـلاطون أم أنك كنت كـمن تنقم على حكام عـصـرك وترسـم الأفـضـل ؟ الفـارابـي : الثـلاثة مـعـاً . لـو أنك اختـصـصت فى الموسـيـقى لكان أجـدي . الفـارابي : لو أنك صـرفت لسانك إلي الصمت . . طيب . . وأنت مـا اسمك ؟ ابن سينـا : الشيخ الرئيس علي بن سينا : أهلا بك أنت أعـظم دماغ عرفته البـشرية . ابن سينا : بحيـاتك لاترددى مـا قـالتـه الدكـتورة مـدموازيل « جـوا شـون » فـقلـت كنت نمـوذجـاً لمحب الحـيـاة ، والعـالم المدقق ، والفـيـلسـوف الرؤيوي والأديـب الملهم فـقـال ابـن سـينـا : العـفـو لا أسـتحق كل هذا

المديح فقلت : لابل تستحق واكثر ، لكنك حاولت أن تترسم خطي أفلاطون في تصور عالم أمثل ، وخطي أرسطو في السياسة المدنية ، وهمت في فضاء الروح وأنت تعلم أن لاوجود لسوى الجسد ، فهل أغرتك نوافح المثلية الأفلاطونية ؟ ابن سينا : آراك لاتفتشين إلا علي العيوب لأني أريد؟ اكتب بها المهارات ابن سينا : لك شأنك . وأنت ؟ أري ملامح الصيد تشرق من جبهتك ؟ ابن حزم : أنا ابن حزم . بارك الله في الإمام العاشق ، السباق إلي الحب المفلسف ، المتجاوز الفقه الأجوف ، ابن حزم : أغفر لك طنين السجعة ، وقد عرفتك ورضيت عنك ساعة كتبت عن طوق الحمامة : إنه أول كتاب عن الحب في التاريخ . محمد بن داود عمق التنهدات أبعد منك . ابن حزم أنا محب في الطريق المألوف ، وهو مخالف للنهج المعروف . رحم الله العالم الفقية العاشق، فقد كان يستحق كتاب « الزهرة» يهديه إلي ابن حزم : ورحمك أنت . فقد كتبناه معاً لكل قلب بشري كي يسمو بالحب .

وأنت يا أختي ؟ ما الذى أتي بك إلى هنا ؟ أتراك حشرت بين المستوطنين المصريين الذين فتح لهم العراق باب الإقامة ابن خلدون : خفف من حدتك ، فعبد الرحمن بن خلدون لايلتفت إلي عصف ريح ، أو زخم بركان ، ولاتغره سنفحات الياسمين .

ـ ها !!! أهلا بعبقري الدهور ، وهدانا الله وإياك إلي الصراط المستقيم . كيلا تفتئت على العرب ، وتحنو على العجم . ابن خلدون : يا لك من مشاغبة !!

ـ ولماذا تقدم الشوك ، وأقدم لك الورود ؟ ابن خلدون : حدتك وسخريتك . أفلا تعذرني ؟ أفلا ترحمني ؟ وأنت أول عالم في شؤون الناس ، وتقلب الدول ، ولا تزال من أعمق الذين رسموا الخطوط الكلية في تاريخ الفكر العربي والعالمي عابراً فوق الترهات الجانبية . ابن خلدون : أشكرك . فقد علمتني أحداث عصري ، وسوالف دهري ، أن أفتش عن الأسباب والعلل ، فى سبيل صلاح الإنسان

والشعوب . عبد الرحمن .. ابن خلدون : ماذا تريد ؟ ولماذا لم تتبع خطوط كلياتك التي رسمتها في « المقدمة» في كتابتك التاريخ العام من المبتدأ إلي الخبر ؟ وغرقت فيما غرق فيه هيرودت ، وغيره ممن ذكروه ولم يتحروا ، أهكذا يكون الحرص على صلاح العقل البشرى ؟ ابن خلدون : أنت تظلمينني . فقد رسمت المخطط وجمعت الأحداث ليجد كل باحث مجاله في الكشف عن الحقيقة بين الأخلاط عبد الرحمن ابن خلدون : نعم أود أن نجلس معاً ولايشوش علينا أحد فمتي؟ والآن يلوح لي ذلك الوجه الشاحب والخدان المترهلان تراه من يكون ؟ هيجل : أعني تسأل ؟ نعم . وهل في ذلك سوء ؟ الا تدرك أنني معلم العصر ؟ تشرفنا « قال معلم العصر » وينسى فؤاد البستاني، وشارل مالك ، وحنا حنينة ، وبطرس ضابيطا ، الفونس عرنيطا ؟

ـ هيجل : جئنا نناقشك الحساب ، فأنت من هؤلاء البشر الذين لايحفظون الجميل

ـ مثل ماركس ، وانجلز وفيورباخ ، وتروتيسكي ؟ هيجل : ما قصدت هذا ، فقد كانوا تلاميذ نجباء ، سل عنهم « فخته ونيتشه » أنت أدري بهم ، وأشكرك لأنك كنت سخي الينبوع الذي استقي منه هؤلاء طريقهم الي البدء من الرغيف ، والنظام الكلي في التوفير ، وأصبح نصف سكان الارض في ظل الشجرة التي غرستموها ، فارتاحوا من حرور الأيام . هيجل : لعله ياليته . هيجل : همى كان في تأليف هذا الخليط العجيب من سكان الأرض ، وربط حياتهم بالأسباب والنتائج ، ورسم خط كلي لشؤون الشعوب ، ولم أكن يائساً حقوداً كأرثر ميلر .

ـ شوبينهور ؟ هيجل : بالذات اليس هو ذلك القابع ، العابس ذا الشعر المنفوش المنكوش والوجه المجعد ، هنالك ؟ هيجل : بعينه . آوه !!! عمنا شوبينهور عابساً في الدنيا ، مقطباً في الآخرة ، لا كانت أمك التي أحبت جوتا ورفضتك وكرهتك . .

ـ هيجل : هس . يا لك من سفيه اللسان !!! إذا كنت سفيه اللسان ، فإني أومن بالإنسان ، فلا أحبك له حبائل الغواية لألقية في

هوه العدم وأدفعه في دروب اليأس من حياة لاتستحق ان تعاش .

هيجل : وهل تنسى أروع صفحات كتبها في سفره الخالد : « العالم كإرادة وفكرة » وهل تجهل مقدار تفرده بفكرة الخلاص في الفن من عالم الشقاء ؟ زذكر . هيجل : إذن . خلصنا بفرحة الن لحظة وأوقعنا في جهنم الإرادة قرونا ، فهو كمن فتح لنا باباً علي الجنة بينما حبسنا في جهنم . هيجل : يا لك من عنيد !!! شوبنهور : مالك تقضم أظافرك ؟ شفقة عليك

- شوبينهور لم يشفق على الذى هو أولى منك ، فلماذا تدس انفك فيما لايعنيك

- حرصاً على شأنك العظيم .شوربينهور : احرص على نفسك . أتريد الصحيح ؟

- شوبينهور : إذا كنت تدركه

- « كانط » أعظم منك في وعي الفن والجمال ، ساعة قرر في كتابه

الرائع نقد العقل الخالص» فكرته عن العظيم أو السامي ، صحيح أن الجاحظ والثعالبي وعبد القاهر الجرجاني سبقوا إلى تقسيم أنواع الحب، ومراحله ، ومراتب الجمال ، ورسموا طريقاً لم ينافسهم فيه ستندال صاحب كتاب « سبعة أوجه للحب» ولكن عمانوئيل الفيلسوف المنضبط الجميل ، ولم يلحق بهم شوبينهور : أنا لست مختلفاً عن أخي عمانوئيل ، وغايتنا في خلاص الإنسان كانت واحدة، وإن كنت عكست شقاء العالم الذي أحاط في سطوري وأفكاري ، ثم أوغلت إلى عمق أسرار الحياة ، وضمير الكون ، فوجدت فيه الدورة الفلكية الما حاراً نازفاً ، والوصول موتاً ، والحياة لامعنى لها . لكنني أحب أسألك مرة واحدة.

- سل عما شئته شوبينهور : هل أنت ممن يخالفونني في رأيي ؟ لا تقتلني وتفضح كتماني

شوبينهور : غفرت لك . ادع الينا اخانا عمانوئيل . شوبينهور : ادعه

أنت فلا شأن لي بك ولابه ولماذا جئت إلى هنا .

شوبينهور : مرغماً من الذي أرغمك ؟

شوبينهور : قدر . يا دكتور الدكاترة

كـانط : مـالك ؟ ألـم ترتو بعـد من حـديثك الثـرثار ؟ يا عـمي حيرتموني ، تغيرون على موقعي ، وتشتمونني ؟ فهل أنا الذي دعاكم،

كـانط : دعانا واقع الحـال ، وأسفنا لما صار إليه الناس ، وكنا نظن أن حضـارة أوروبا ، تلك التي اقتبست ضـياء العقل اليوناني ، رسمت الرؤيا الكونية الشاملة ، فظننت أن الأنسان لن يضل بعدها بحال .

ـ اسمع يا عم عمانوئيل كانط : ماذا تريد أن تقول ؟ أراك تذكر كثيراً بعظمة العقل اليوناني ، وهذه طبيعة جرمانية ندرك سرها فيكم، ثم إنك لاتجهل أننا نحن العرب ترجمنا اليونان وقدمنا الترجمة لكم مضيفين إليها الكثير من عبقريتنا ، ثم إن هذا العقل الذي قدم للعالم حروب القرن التاسع عشر مطلقا الذئاب الساعرة في

الإنسان . وعطل كل ما بناه الرسل في شرقنا ، لا أراه قد استفاد أو أنه صلح ؟ أتجهل أن أوروبا قدمت العقل بعد أن قدمنا الدين ؟ وأن العقل خادم الدين ؟

ـ كانط : يا لك من دجال !!! هل تؤمن بما تقول ؟ أنا أعرفك يا رجل كلى صدق . فلماذا الأهانة ؟ كانط : العقل أبو الدين ، والفن ، والفسلفة ، والعلم هما المحرك الأول للكون . المحرك الأول والأخير هو الله يا كافر !!!

كانط : كأنك تتكلم بلغة الذين بصقوا في وجه ابن رشد . وحرقوه كما حرقوا إبداعاته ومؤلفاته الإنسانية والدينية والفلسفية العظيمة وحياتك يا عمانوئيل ، كل شئ إلا الوثنية ، فانا امروء أخشى الإثم وغضب الله أنتم الأوربيون كفرة ملاحدة ، ساعدتم بروما إسرائيل على صلب المسيح حسب رأيكم ، ثم عدتم وتبنيتم كنيسة حواريه بطرس وأصبحت مذهبكم في روما ، وحورتم المسيحية الصافية العربية الشرقية إلى نوع من الوثنية المشبعة بالتعبد للتراث . كانط :

في عـرضك يا أختى وحـياه أبيك وجدك وعـمك وخالك أن تتكلمى بموضــوعــيــة كــيف تـدعي ذلك ؟ ومــا هو مــرجــعك ؟ وهل هذا هو الأسلوب الذي إكتسبته من السوربون أعتقد أن الذي فهمكم يا أبناء المسيحية الأوروبية هو فريدريك نيتشه أيها الماسخون المتسلطون يا فريدريك يا قبضاي الغرب نيتشة . ماذا تقصد الشرقية المتخلفة ؟ ما أريد ؟ أريد أن أسوى جسدك بالأرض، وأسحق عظامك .

نيتشه : أستغرب ، ولكن هل تستطيعين.

ـ من أسهل الأمور على صياد ، سباح ، فلاح ، أن ينفخ نفخة واحدة على رجل مهووس ، أنهكته المورثات المرضية ، وجن جنونه ، فتضخم فحاول أن يلغي الله ،ويمحو المسيح ـ ويقيم مكانه غطرسة جرمانية ، ، ولدت بعد ذلك النازية .

ـ يا أختى الشرقية هؤلاء الذين صنفتموهم في الدرجة الثالثة عشرة من سلم الشعوب .

نيتشه : يا أخي ، إنني ما فعلت هذا في كتاب بطله فيلسوف شرقي .. لأنكم تدعون أن أصله آري .

نيتشه : أرجوك دعني أكمل ، زردشت نموذجي المتكلم ، وقلت عنه إنه رفع الإنسان من مهانته ، إلي ذري كبريائه ولكنني حاولت أن أنظف دماغة من غفونات الغيوب التي أفسدته « كتابك » هكذا تكلم عن زردشت «يشهد عليك .

كانط : ولكنه ملحمة ! رجعنا إلي العصبية الجرمانية.

كانط : حقيقة حسناء هذا ما يشكل غفراناً لخطاياك ، ولكن قولي: من هو ذلك الذى يلصق وجهه بالأرض ؟ سينوزا أنا رجل هائم، حالم ، مؤمن، لم أجد عزاء فى عالمك عد إلى توراك تجد كيف تصنعون الإله على مقياس رؤساء قبائلكم جباراً ، فتاكاً ، اثرا ، عنصرياً ، لايرى غير شعبه في الدنيا ، هكذا تكلمت التوراة

سيبنوزا : وهل رأيتى كذلك ؟ سلمت عينك يا سيد سبينوزا ، مغفورة لك خطاياك ، وليست الشريعة استير ، والآن دعنى أكلم ذلك

الراهب هاي هاي يا أبانا انسلم : مـاذا تـريد من أحـد أبـاء الكنيـسـة المجددين ؟

ـ أريد ؟ هذه ، أريد ؟ انسلم : ولماذا تسخرين هكذا وكيف حال أبنائكم الربانيين ؟!!

ـ انسلم : نعم نعم ، كلهم إخواننا فى الرب ، وأبناء العطية نذروا العفة ، والفقر ولكن .. طمعوا ، وأتخموا ، وغالوا فى اكتناز الذهب والفضة.

ـ إنسلم : هذا الذى من اجله ناضلنا لتبقى كنيسة المسيح طاهرة طبعاً ، طهرها من أنطاكية إلى روما اللاتينية ، ولم ينفعها ما قام به لوثر وكلفن ، ومن دار في فلك مشحون بالضباب .

انسلم : علي مهلك سيدتي !!!

على مهلى ؟ وقد اشتط فريق من اليسوعيين فأعلن أنه لايهتم بالمسيح ومريم أو الرسل ، بل كل همه فى جسد الكنيسة ، فلماذا ؟

أليس لانها سوق التجارة العريضة الرابحة ؟ فيا ويلكم من المسيح العظيم ؟

انسلم : يا أختى ليس كل آباء الكنيسة تجاراً ، ولذا ترانا تحملنا القتل والإحراق . وأحكام البابوات المترفين كما تحملنا كل ألم فى سبل تطهير الكنيسة وخلاص الإنسان دعنى منك الآن . فاتكم القطار . أود أن أتكلم ذلك المحاور في أقصي الحلقة ، ذا اللحية ، الهادئ ، الوسيم ، النبيل ، أراه يتأملنى . ها . ها تعالى الي جانبي يا أخانا ذا اللحية . أوف ، كأنه لايسمع ، فولله لو أن ابن الرومي شاهده لصاد بلحيته حيتان البحر الأحمر وكل ما في بحار العالم أجمع .

ماركس : تعجبني دعابتك أكثر مما تأخذني به رصانتك وتسجعين كالأزهريين والحريري وخطباء يوم الجمعة ؟

ماركس : وهل في ذلك من سوء ؟

ـ كلا ، ولكن السوء فى أن تستولوا على مال الناس ، ونتاج

أتعابهم، ثم توزعوه على الكسالى الذين لم يتعبوا لحظة فى سبيل الحصول عليه .

ماركس : هذا زور وبهتان ، وإثم عظيم . كيف ؟

ماركس : لم تقصد سلب الجاني ما جناه ، لا الكادح ثمن تعبه ، بل اردنا إشاعه العدالة بين الناس ، وتوزيع خيرات الأرض ومنع الاحتكار ، وتخفيف القلق عن كواهل المعذبين ، وتحيد مكان العمل ، ومقداره لكل فرد ، ليعطى لنفسه ، وللجماعة كي يكون صالحا للانتساب إليهم ويسهم في بناء الخلية الكبري ، وهذا أصدق ، وأشمل مذهب رسم في تاريخ الإنسان من اجل إنسانيته رغم ذلك سلبتموه إيمانه وحريته

ماركس : رسخنا إيمانه بنفسه ، وبمجموعة بالحياة والكون ، وتركنا له حريته فى نطاق ، كي ننقذه من نفسه ومن استغلال الآخرين وتحكمهم أخرجتم الإنسان من عبوديه الفرد المستقل إلى

عبودية الجماعة والدولة المستغلة ، وحددتم مكانه كالمسمار الذي في الماكينة.

- ماركس : ولهذا السبب آمن بمبادئنا نصف سكان الأرض راضين مختارين حيث أعدنا لهم الكرامة ، والعمل والتعليم ، والعلاج ، وحفظنا الطفولة والشيخوخة فأى مسمارية في الآلة يا فيلسوف الحرية ألحت علي الحشرية مرة أخري ؟

- ماركس : أية حرية تريد ؟ حرية القانون ؟ أم حرية الدين ، المستغل ؟ أتريد حريه الغرائز المنفلتة ميداناً يلعب فيه حيوان الإنسان كما يشاء ؟ الحريه مرة ثالثة بنيت الحرية ، لتأمين الجميع بدون قيود ، والماركسية لم تزودها قيودا بل نسقتها وجعلت لها معنى. والديمقراطية ؟ ماركس : بنيت الحرية ، لتأمين مصالح الجميع حفظاً للشعب من أن تتأكله الطبقية يوووه فلقتمونا بالطبقية ، والأيدلوجية والداموغوجية وحب الإنسانية وماعرفناكم إلا اصحاب مدى حيوي ،

مثل الأمريكان ـ حرسهم الله ـ وحلفائهم فى الرأسمالية والبطن مالية والعين مالية . ماركس : يصعب أقناعنك ، ما أنت إلا من هؤلاء الناس الذين تعبنا في سبيل إسعادهم فرذا بهم يأبون إلا الاستمرار في أطماعهم وفوضاهم .

خلاص ! ما عدت أكلم واحداً منكم ، ولا شأن لي بروجيه جارودي، وسارتر ، حيث خرجا عليكم ، وغمسا خارج الصحن كما زعمتم ، أما برتراند رسل فقد فهمكم وصنع له دكاناً طوباويا إشتراكيا للبركة أف ، مالي وللاسترسال في كل هذا ؟ اني أري واحداً يلبس الطربوش هنالك وما أظنه إلا لطفي السيد باشا وهذا أراد أن يكون فيلسوفاً فلم يصل إلي أكثر من نساخ وشارح علي الهامش ، بينما الجالس إلي جانبه صديقي الدكتور كمال الحاج الذي طبل وزمر للعروبة ثم طبل وزمر للبنانية الانعزالية وشعر أنه يكثر من تبديل المناخات فقتله التبديل ، ورغب في التفلسف فإذا به يقع في أصداف الاشتقاق اللغوي .

- مسكين أنكر العروبة ، وأراه الآن إلي جانب لطفي السيد الفرعوني المصرى ، فسبحان مقلب القلوب ، والجيوب وغافر الذنوب كنت أتحدث محتدمة وعندما سكت لحظة لأخذ نفساً ممتلئاً نظرت فلم أجد بجانبي أحداً فلملمت أطرافي وسرت في طريقي إلي المنزل بالقاهرة يشتد عند الظهيرة ويتلاطف قبيل الغروب ، أنا في غرفتي الخاصة ، أرمي من يدي القلم ، وأرمى النظارتين على مكتبى ، لأسرح ببصرى فى الأفق البعيد جهة الشام ، حيث تقابلنى غصون النخيل بشراسة ورقها ، وليونته ، وبحلاوة عناقدها المترعة بالخير والفرح المعطاء . ما ابهج عناقيد البلح !!! وما أطيب عناق الزيتونة ، وهى تمسح الغبار عن ورق النخل ، وتسمح لأنامل جارتها النخلة أن تلج صدوها ، وتعبث مع الهواء بسر أسرارها ، عبث العاشق بصدر من أحب ! ذكرت (عبد الرحمن الداخل) وهو يناجي النخلة فى بلاد الاندلس ، تلك التي عرضت له صور بلاده التي غادرها الى غير رجعه ، هربا من فتك بني عمه العباسيين ، وأخذت أتامل مناجية تلك

الزيتونية الحالية وما كان يمتد في بلادنا العربية الحبيبة من غاب طاهر ، لاشرقى ولاغربي ، يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره وحوش العرب الغارقيين في ظلام الهمجية ؟ هل تتيح لي الأقدار أن أعود أكحل عيني برؤية الزيتون وظهر المعصرة ، ووادي الشقفان ،

ـ يا قدر ، يا بشر ، يارب الأرباب ، أكاد ألم دموعي بين يدي أرفعهما مبتهلة ، وأضم قدمي راكعة خاشعة كي يستجيب لي من يسمع ويري ، لأملأ روحي وقلبي من هواء وطني العربي الحبيب ، وبيوتنا الماثلة على ربوة من أجمل روابي الشام ، فلسطين ، لبنان ، العراق وأنت يا نيلي الحبيب ، ربيب الشدي الأول الذي أرضع الحضارة ، وفوح الضوء فى عيون البشرية العشواء ، أصلي لك ، وأقدس ضفتيك الكريمتين ، كرم الضوء في النجوم ، والرحمة في السماء ، فأنت التي رف جناحاك لي ، ومسحت دموعي ، وأنست

وحشتي ، وأشعرتني أنني ولدت بين أحضانك . ما عرفت الوطن بعد مصر إلا بين ذراعيك ، وساعة سدت دويلات العرب أبوابها في وجوهنا ، وأرسل بعض الحكام قناصيهم ليقتلونا ، ويصطادونا ، وبذل بعضهم مئات الملايين لسحقنا وآخرون باسم العروبة والإسلام ، وجدوا أن الذين لايستقيم وأن الوحدة العربية لاتتحقق إلا بمحو الفلسطينين من القدس و لبنان من الوجود ، وسحق القوي الوطنية المشتركة كأن كل عربي من لبنان ، وكل مسلم من لبنان ، أو أي فلسطيني في لبنان انقلب الي صهيوني خطير بغيض في تلك الساعة يا بغداد أعلنت أن « بلاد العراق للعرب» وفتحت لنا عينيك ، وقلبك لنصبح مواطنين على أرض طالما أنبتت ، للتاريخ أسمى وأعلى باسقات الحضارة . وأنت يا نيلى الحبيب جدائلك وخصل الفاروز على جسدك النابض بخضرة الحياة ونظراتها إن أنا سجدت أصلي على ضفافك ، واري من خلالك جمالاً يشع من وجه الله ! ليالي القاهرة لاتوصف لأنها ليالي مصرية معظم سكأنها ينامون في الصيف على السطوح

ليـلا مـا أحلى حين كـنت أسطح ليـلي بين جـفـون النجـوم وحـلاوة لمس النسـائم ! اسـتـعـراض قـناديل السـمـاء وصـفـاء البـريق المشع من الكواكب، ويمر ببـالي شـريط أيامي الماضـيـة ومـا تعـرضت له مـصـر من فواجع فـأخشع ، وأحن ، وأدمع تمر نسمة لطيـفة فتحـرك غطاء سريري المرتاح علي السطح ، وألتفت الي جـهـة ارض الشام الحبيبـة مرة أخرى فتقابلنى معروشات النخيل بظلالها الملقاة علي صدر السـماء . كـأنها غصون من شجرة الليل ، ويثقل جفناي فأنام وأفيق على أصوات طبول ، ونقـر دفوف ، ورنين أوتار ، وجوار شـفـيـقات التـمـايل يترنحن مـا بين العري والاكـتسـاء ، فتـبـرق العيـون . هااي ، من أنتم ؟ ولماذا أقلقتـم راحتي ؟ أفلا يروق لك مـجلس ضـم شـعراء الأرض ؟ شـعـراء . وأرض ، وعلي سطح بيت بسـيط في مدينة القاهرة عـاصـمة مـصـر العتـيقة مـصـر الفراعنة !!؟

ـ نعم . ولا غـرابة ! . وتدنو مني احد الراقصات ، ويهب مـتـوهجاً

فى نفسى عطر الرقيق ، وفوح جسده المرتوي ، ويرتعش علي وجهي من صدره ضياء حتى صار نوراً ، وتلامس ثغري من بين الحرير المتموج جبة توت ، متحدية ، فأفتح شفتي وتهرب النغمة ،فأحاول النهوض لألحق ، وأمسك فتدنو الأخر وتغمر شعرى وجهه المطيف المتموج ويحاول التمسك فتنفلت فأحاول التوثب فتقترب الثالثة فيرمي ورقتى ورد علي فمي ، ثم يميلها ويهرب فأكاد أجن ، لكن هذا الثالث عاد ومعه رابع فأحاول التوثب فيقترب الثالث فيرمي ورقتي ورد علي فمي ، ثم حرمت وأكدت الخبيثة الثالث فشع في عيني وفمي ، وجاء خامس بقدح فلامسته شفتي ، ثم رشني بشمالته ، وأمال نقاطاً علي ما بين نهدي وانقلت . صحت : يا عباد الله ، اتقوا الله ، يرحمكم الله ! قهقهات ما جنات لطاف ، ورنت أقداح رقاق ، وأومأ لي من بينهم وقور جميل فقعدت خاشعة لائذة بجانبه أى رفيق كريم !!! وأية نفس صافية !!! من تكون حرسك الله ، وغفر لي ولك ولسائر المؤمنين ، دون الكافرين ؟ ألم تدلك نفحاتك علي حروف اسمي ؟ أ . . أ .

أتكون الحسن بن هانئ ؟ جميعهم : هو نعم . حزرت . لابلي شاطر . أبو نواس : أتحب التعرف إلي أصدقائك رحمك الله . أراك استوحيت من جابر بن حيان « كل شئ قابل للتحول إلى أى شئ أبو نواس : كان جابر شاعراً في تأمله ، وأحلامه ، وتجاربه ، وعلمه وكان صديقي . ياحسن . أبو نواس : يا أحسن . أراك استبدلت عن الحسن ، والمتعدد واحد . أبو نواس : لم أعدل عن الحسن ، والمتعدد واحد . هل جنان ، وعنان ، ومعشوق ، وخالصة ، وسمجة بينهن ؟ أبو نواس : غائبات ، حاضرات . ما الذي دعاك إلي الزهد بعد الفتك والقصف ؟ أبو نواس : الكل واحد . قل لي يا أبا علي . أبو نواس : سأقول لماذا لم تشارك في أمور السياسة ، والعصر ، وعزفت ساخراً من القواد ، والمتسلطين؟ أبو نواس : أف ما أكثر حشريتك ! ! ! على أنني لم أصمت إزاء سؤالك ، فأسمعى . سمعت ، رأيت ، أصغيت . أبو نواس : لم أتخل يوماً عن الاشتراك في أمور العصر مناضلاً ، قحاماً ، أو ساخراً مشنعاً . كيف ؟

أبو نواس : قصدت بغداد الرشيد، وأنا طامع إلي الجديد من جانب ، وكاره ، تحكم السادة بالعبيد في البصرة من جانب آخر ، وستذكر كيف ثار الزنج بعد ذلك ، وكيف غضب عليهم ابن الرومي صديقك.

ـ أذكر ، وأعلم أن ابن الرومي ، كان نبيلاً نبل فنان أصيل في حقده عليهم ، ولكنه كان جاهلا أسباب ثورتهم ، ولو علم أكثر ، لكان انقلب على سادة البصرة دون عبيدها قال أبو نواس : أمسكت بطرف الخيط ، ثم اعلم أني وجدت غطرسة من العدنانية وأنا منها ، فانهمرت على القحطانية لأحطم أنوف المتجاوزين ، وهذا ما لاتجهله عنى ، إني لجد مبتهج بكتابك عن شؤوني ولكن لي إليك كلاماً ليس هنا مجاله الآن . بل مجال واسع . أبو نواس : استمع أرجوك . مستمع أبو نواس : وقفت علي ما بين العرب والأعاجم ، وما هي عليه الغطرسة العسكرية ، فجفوت ذلك ، ونقمت عليه ، فانحرفت إلي الشعب ، وأعددت منهم جيشاً ينتظر موعده ، وهذا ما وعيته عنى

ساعة أتيت على ذكر الشطار في كتابك ، وعندما عدت من مصر تاركاً خصيبها القاحل . ابو نواس : والله يا أختي ما مدحته لشمائله ، ولكن لنفي سأمي ، وكسب عيشي . أعلم ذلك . أبو نواس : يجب أن تعلم أن سخريتي كانت منصبة على هؤلاء القواد المتغطرسين ، لذلك سخرت من حروبهم ، ورقاعاتهم بقولي

إني اذا ما حروبهم قحـــمت　　　　ألجمت مهري من جانب الذنب

ـ صورة هازلة تبطن فكرة سلام

وفلسفة حياة أبو نواس : ثم أتني ؟ وأنت العليم بشعري ، وشأني ، قولي من أجل السلام ، والحب والجمال ؟ إذا هيا أبو الهيجاء ، للهيجاء فرسانا

وسادت راية الجيش أمام الشيخ إعلانا

جعلنا القوس أيدينا ونبل القوس سوسانا

وأحجار المجانيق لنا تفاح لبنانا

فهذى الحرب لاحرب ، تعم الناس عدوانا

أذكر ، وأردد ، أبياتك هذه كثيراً في أيامنا الراهنة حيث زادت الفواجع الفلسطينية والعراقية واللبنانية على كل فواجع التاريخ ، وساعة كتبت عنك ، نسبتك إلي جامعة أنصار السلم في بلادنا من طراز الشيخ عبدالله العلايلي ، والدكتور جورج حنا . أبو نواس : حسن وأحسن منه أنت يا أبا نواس شكراً ، ثم ألا تود التحدث إلي أخي زهير بن أبي سلمي ، فقد كان عدوا للحرب رغم أنه عاش في إطارها . أود التحدث إلي طرفة ، فهو الذي شنع علي بقمع الحرب ، مع أنه جعلها واحدة من لذاته الثلاث . أبو نواس : دع طرفه لشأنه

ـ والله إنها لفرصة رائعة تتيح لي فيها الأقدار أن التقي بكم . أبو نواس : لي إليك أن تعي شأننا ، فنحن معشر الشعراء ، قد هالنا ما عليه أمور الإنسان اليوم وعلى الأخص بلادنا العربية . فكيف يسكت الشعراء عن فواجع فلسطين والعراق ، ومأسي شعبهم الكبير ؟ أوه ،

أوة !! أحس أن جهودنا من أجل الأكمل والأجمل ضاعت عبثاً (يلتفت وينادي) يا حبيب ! أبو تمام :لبيك أبا علي . أبو نواس : إلينا، فديتك . أبو تمام : ماذا يود الحسن بن هانئ ؟ أبو نواس : هذا الرجل ما تجنى قط علينا وعى قدرك ، وأكبر موضعي من القرن الثاني الهجري ولكنه متهم بإنه من جيل المهزومين ، وهو لقلمه ، وشمول رؤيته يوضع موضع المحاكمة . أبا علي أتمزج ؟ أم تركب مجونك شأنك بين عصابة السوء ؟!

أبو تمام : ويلك يا ابنة الألفية الثالثة ، عرفت ، وعرف معاصروك من أصحاب المنابر والدروس أننا مجدنا مآتي الخلفاء ، ونصبنا أقلامنا مقاييس للجمال في التعبير البديع ،

وسكبنا شعلة الفن في وهج المنطق ، ليلقي الذين يأتون بعدنا مدي أوسع

وليزيدوا ،فإذا بهم يحطمون الأفكار التي رفعناها ويمحون الحبر الذي به كتبنا ، ولم يبق الأ أن ننفض اكفاننا ، ونحاربكم بسهام ضلوعنا ،

وأحجار لحودنا التي أذابها حز الزمن أبو نواس : كنا نعترض على الخلفاء والقواد ، ونجل العلماء والأدباء ، أما أنتم فقد أصبحت أقلامكم مطية لأصحاب الهوس السياسي ، والحزبي ، والديني ، وبرعتم في تجارة القلوب ، والعقول ، والكرامات ،تبيعون وتشترون أبا علي عفواً، عفواً ، في أية مناسبة ـ بحقك ـ قلت قصيدتك أيها المنتاب من عفره .. لست من ليلي ولا سمره ولمن قلت ؟ : تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني تري دهري وليس يراني أبو نواس قلتها ساعة كنت أصنع المكرمات ، والمحامد ، وقلتم ما قلتم ساعة اشتريتم اللقمة بالكلمة . فيا للعار !!

أبو تمام: ألا تدري وأنت المتمرس بتدريس تاريخ الأدب ، ودراسته أن البحتري منح « المتوكل » إجازة مرور إلي التاريخ العمراني بقصائده، وأن عموريتى صورت لكم كيف تكون البطولات ، وكيف يكون خليفة أمى بطل أمة ؟ يا ناس ، يا عرب ، يامؤمنون . كيف تذلون ، وتتفرقون ، وفيكم كتاب كريم ، وذكر حكيم ، وهذا الشعر

العـمـوري الفـخـيم ؟ آه آه !!! أين أنت يا أبا الطيب ؟ أبو نواس :
دعوناه فلم يستجب إذا إنه ترك في العرب شعراً من شأنه أن يصنع
منهم جبابرة كرام وعزة ويشد فلذاتهم في سبيل وحدة لاتنفصم
عراها ، وأعلن لي أنه لايحب الالتقاء بواحد يعيش في جحيم المأساة
الفلسطينية ، والفاجعة اللبنانية والمصيبة العراقية ، فيا لضياع السيف
الأموى ، والعقل العباسي ، وغضبات أحمد بن الحسين ، ويا لجحود
الناس مآثر بن عبد الله !!! هون عليك بن هانئ ، فوالله ستجد اللهب
الذى اندلع من القدس وبيروت والعراق جحيماً يحول الخائنين ،
والقاعدين ، والمتآمرين رماداً . يا ابن هانئ ، وانتيا ابن أوس ، أنتما
لاتجهلان ما مرت به بهذه الأمة من كوارث التتار ، والطامحين ،
والصليبيين ،العثمانيين ، والمستعمرين الأوروبيين ، وأخيراً الصهاينة ،
ورغم كل هذا الذى من شأنه أن يمحو أية أمة من الوجود ، ترى أن الأمة
العربية لم تركع ، ولن تركع ، وستبقى ما بقى ليل ونهار أبو نواس :
والغريب فى أمركم أن فئة مأفونة ، رضعت من ثدي هذه الأمة ، تدعى

أنني أعجمى ، وأن أبا تمام يوناني ، وحرفت أوس إلي تدوس ، ألا على كل مزور ماكر لعنة القدر والحقيقة ! أبو تمام : أقول بلساني ، وبسماح من إخوتي هؤلاء ونيابة عن الشعراء جميعهم أننا سنثور وننفض لحود القبور ونستعجل يوم النشور ، في سبيل أن يرتاح تاريخ هذه الأمة من ملطخي سطوره بالعار . يا حبيب قلبنا ، وأنت يا أحسن حسن في الدنيا ، صبر أصبراً فسيعلم جمعكم عن قريب ما سيكون !!! . ما كدت أكمل كلامي حتي سمعنا جميعاً صخباً في ماء النيل ، ورأينا أشباحاً تتطاير من الماء ، وأطيافاً تهبط من السماء - وللنخل عصف مرير - وضباباً يمر سريعاً فوق رؤوسنا ، وأخذ ،افدون جدد ينسجمون في حلقتنا وأنا مأخوذة مشدوهه هومير : أنا صاحب الإلياذة والأوديسة رغم أنف المضللين والعابثين ، لذا أعلن لكم يا أبناء الألفية الثالثة المتبني : أنت شاعر من قبل الدهور . هذا إطراء لا أستحقه . هل تنتظرين أحداً ؟

كلا ! أنتظر أية سانحه لأقرأ بعضا من سطور كتابك . إنه لمؤلف

لبناني ، واسمه هارب من باريس » وهل أعجبك ؟ أقرأه للمرة الثانية .
حسن . وهل عرفت أنني مؤلف هذا الكتاب ؟ صحيح !؟ صحيح
.نهضت عن المقعد ، وتمدد الي جانبي وأخذت أمطره بالأسئلة
الطفولية : ألا تشعر أنك بعيداً عن التزام خط هادف في قصصك
هذه؟ علي الرغم من توفر عنصر التشويق الآسر فيها ؟ يكفي أن
أكتب عن تجربتي ، وأن يكون لي هدف الإفصاح عن عقل ، ومشاعر ،
وهموم ، وهذه كلها تلفت القارئ إلي موقف المشاركة أو الرفض قلت
له معظم أقاصيصك يدور حول الجنس ، وتكشف حضارة باريس ،
فكيف تهرب منهما ؟ وقد انهمرت عليهما ؟

ـ خوفا من زوجي « أبو الفضل محمد عبد الواحد الأيوبي ، الذى
سمى قائد القوي الوطنية في الكورة بلبنان » الجنرال أبو الفضل»
يالك من مرحة !!

ـ وقور وهل أنت هاربة من لبنان بعد هروبك من باريس ؟ هاربة من

زوجى وسيهرب زوجي من الإنعزاليين إليَّ قريباً . هل كنت متزوجاً ساعة كتبت سطورك هذه ؟ عندما سافرت إلي باريس كان لي أربعة أولاد . وهنالك بدأت بالكتابة ياه !!! وكيف سمح لك زوجك ؟ لانه جبار العقل والارادة ، ألم أقل لك إنه أصبح جنرالا ؟ هو وسيم ؟ نعم غاية في الوسامة .

ـ أمرك يحيرني وعيناك تحيران كل قلب . وهل أنا حلوة ؟ أنت سمراء ، ساحرة ، وأنا راهب في معبد أزاء السمرة ذات الرنين العابق من خلف الغيوم ، لاية سمراء التي تقرأ في « هارب من باريس » لولا شيبك ! شيبي لم يصل الي قلبي أنت ماكر ، بارع الحديث . هل لك في رحلة بالزورق علي صفحات نيل القاهرة أتمني . هيا إذن . الزورق يهيم بنا ، والنوتي منصرف عنا ، إذا لم أره يهتم لكهل وصبية في عمر صغري بناته أو تقل . ولو أن شيئاً جري بيننا عادة بين متماثلين عمراً لحملق بعينيه ولغفر فماً والتهم . كانت الريح اللطيفة تعبث بشعرها المخصل ، فتميل طرف ثوبا عن ساقين يفوحان طراوة ونضرة

وبوحاً ، فأدير وجهي كيلا تثب عيناي إلي ما فوق ركبتيها ، ولكنها كانت تستلقي بصورة تدير بها ظهرها للنوتي ، وتريني ما كان مستتراً من مفاتنها المغرية الرائعة . وكانت من النباهة بحيث قرأت ما جال في عيني ، ووجهي ، وكياني من شوق وصبابة . أصبح كل شئ لدي مشوقاً الي أي شئ لديها ، ولم أجد طريقة بها أستطيع أن أغنم قربها أكثر إلا بسؤالها .

ـ أتريدين أن نصرف النوتي ، وندرج الي هذه الحديقة علي كتف النيل ؟

ـ من كل قلبي . أعطيته من المال فوق ما يستحق ، وها نحن مع غروب الشمس لصيقان على مقعد واحد بين الشجر الملتف ، وعلى شفتي النهر الخالد .

ـ مددت يدي فلامست عنقها ، فألقت برأسها علي كتفي ، فتركت لأنفي أن يسافر هائناً في شعرها المعطار ، فرفعت رأسها وتطلعت في

وجهي فاذا بعينها تقولان ، وغبنا ورقتي ورد مطبقتان ، وعينان في غمضات النشوة ، ولم تدع يدي فتنة مستورة أو منكشفة إلاوباركتها ، وكأن يدي شربت من خمرة لاتسكبها في أكواب كروم تأخرت قالتها بنضج ورجاء وأنا تقدمت يا ملاك روحي . عفواً يجب أن أعود . معا نزلت من السيارة ، ومشت دون أن تنظر إلي وراء ، ولن تلتفت إلا عندما كادت تدخل منعطفاً ، فلحق قلبي بخطواتها ، وصرت أنتظر موعدنا كل عشية حيث التقينا في حضن النيل شهر وعدة أيام كانت تمضي سراعا كخيوط في نول الزمن ، ونحن لم يفت لنا موعد ولم تغير لقاء ولم تكن لتسمح بأكثر من تلامس ، فحديث ، فتأمل ، إلى أن كانت مرة شعرت فيها أنها أكثر ليناً مما سبق ، فعرضت عليها أن ننتبذ مكانا منحرفاً على الشاطئ ، فلم تمانع ، وقصدنا طرف الحديقة ، منه الي الشاطئ حيث منعطف لايصل إليه ضوء واضح ، وغنمنا ما صبر كل واحد منا أياماً لاهبة .

وفيما نحن متلاصقان يشد أحدنا الآخر إلى كيانه ، ونشد في

الوقت ذاته على الرمل ، اذ رأينا أنفسنا نهبط فجأة ، ونتزحلق في ممر خفي ، إلي باب وقف حائلا دون تمادينا ، يشع من فجواته بصيص ضوء ، فخافت معذبتي وسألتني : ماذا يصير لي لو أن أهلي عرفوا أين أنا ؟ وكيف لي أن أعود ؟ بحقك حاولى أن ترجعينى ، ويلي من تصرفي !!! أكاد أجن . دفعت الباب فانفتح علي فضاء وسيع ، وحديقة عبرناها إلى تالية أجمل منها فثالثة أغرتنا مفروشاتها من الياسمين والفل والنرجس ، وباب لها صقيل الخشب ، ومرصع بالأحجار الكريمة . مددت يدى ، ومعذبتي ممسكة بي ، فانفتح امتزجت بعبير خلت بينها أنني في جنة عرضها السماوات والأرض . مشينا عابرين بجداول فردوسة وأطيار سندسية ، ورياحين تفتح رؤيتها ، أريجها أعماق النفس ، وفوجئنا بمصطبة من القاشاني يجلس علي جوانبها نفر من المشايخ الوقورين الصامتين . خافت معذبتي خوفاً هلوعاً ، فطمأنتها قائله : وجودي كله يحميك من أي سوء ، ثم ألقيت السلام كما لو كنت لازال في الازهر ، فرد الجميع ، وكنت

أظنهم تماثيل . أحدهم : عليك غبار السفر ـ كلا لست بعيداً عن هذا المكان فمن أنتم بربكم ؟ ثان : هل أنت من سكان الأرض ؟ سكان الأرض ؟ وهل على الأرض سوى أو عاقل ـ ثالث : نعم . نعم ، وهل تظن انك قريب من الأرض .

ـ يا غفور يا رحيم ، اذن أين أنا ؟ رابع : أنت في رفرف الجنة ، التفت الي معذبتي فوجدتها طلقة الأسارير . ففرحت ، وهل بعد الجنة مكان يحب ؟ ثم قلت لهم كأنني أصبحت من أهل البيت : بحياتكم قولوا من أنتم غفر الله لناولكم وللمؤمنين جميعاً ؟

ـ يكلمك يوجين الكلبي ، ويود أن يمحو من الوجود كل ظل لإنسان ، زهدنا من دنياكم . منحناكم انقي حب . ولم نلق الا الجحود ، والغدر ، والقتل والتدمير فأي بشر أنتم ؟ آوه ! طول بالك يا شيخ المشايخ ، زهدك في الدنيا أو طمعك فيها مسألة شخصية ، وموضوع حرية محي الدين بن عربي يكلمك . ليس معك حق في أن يحف كلامك مع أخينا ديوجين ، ولنعرف أننا الذاهبون قد وجدنا في

بقائكم علي وجه الأرض فساداً للمخلوقات الأخرى .

الفتاة على أن أعود فأهلي محافظون ؟ ابن سيرين : « ما هكذا يا سعد تورد الإبل » ابن الفارض : وجهك القديم . السهروردي : نصفان الجيلاني : عندما يتجزأ يحتدم شوقه الي أن يعود في وحدته . ابن عربي : التجزئة مظاهر . المعري : عدم ابن عبيد : ضباب يشرق فيه الواحد الأحد الفتاة : بربك خذني الي أهلي فأنني أكاد أذوب خوفاً من رموز هؤلاء وقرفاً من ثقل دمهم . ريثاً يا عزيزتي فسنعود ، الفتاة : متي ؟

ابن العربي : تسكنين العودة . الفتاة : لا أريد أن أسكن إلا منزلنا بالقاهرة.

ـ دعها يا محيي الدين ، فأنها من عالم الظواهر .

الحلاج : لمنا شتيتكم في الأحدية فصلبتمونا وأحرقتمونا ابن عربي : بنينا لكم بيتاً واحدا من المحبة فخربتموه ، وعشتم فساداً . جلال

الدين : أعدنا كم إلى الينبوع ، ففجرتموه ، وأجريتم ماءه بدداً الفتاة : تمكربي ؟ تريثي يا شاغلة بالي تريثي ، فإن رحلة كهذه تقابلين بها كبار أرباب القلوب من الصوفية ، ونخبة الرائين ، تساوي ملء الأرض ذهبا .

الحلاج : رد الفتاة إلي ذويها ، وخل لك الذهب كله يا أخي لماذا تكون حشرياً ، وما دخلك بيني وبين معذبتي ؟ جلال الدين : قل ملهمتي يا غبي ! يا أخي في عرضك ، هل أنا أخوك الأصغر . أم ابنك ، أم تلميذك لتوجه إلي الإهانة ؟ ألم تعلم أنني كنت الأول في صفي ، وتخرجت من الأزهر ، وأخذت الدكتوراه من السربون ولي مؤلفات كثيرة ، فكيف أكون غبياً ؟ جلال الدين : غبي ونصف : زدتها يا جلال الدين : ومن أجل عنادك أراك غبياً هل كنت غبياً ساعة كتبت المثنوي ؟

جلال الدين : هو كتبني : يا عبنى علي الحبر والورق (همهمة ، وشوشة)

اعـتـمت الدنـيـا ، رعـد ، برق ، سكون ، فـاذا بي مع مـعـذبتي علي شاطئ نيلها فاستأجرت لها تاكسى يوصلها الي حيث تريد لم يرق لي جو هؤلاء الصوفيين ، وإنحنى بدني من غطرستهم ، لكنني حسدتهم علي جنتهم التي التموا فيها على سرر متقابلين ، وصرت أسائل نفسي : كيف يتسنى لي أن أخرق حدود المكان والزمان ، وألاقي هذا الجمع الغفير من سكان القبور؟ أخيراً إلي صحراءالعطش والضياع أدعوكم دعـوة شاملة أن تتوزعـوا بين الشعـوب والأمم ، وتمهدوا لثورة شاملة تقلب أوضـاع العـالم . (تصـفـيق ، مطر ينهـمـر ، رياح تمزق سطح الأرض ، والمتنبي واقف كـالمارد بين الأرض والسـمـاء ، ينتظر تفـجـر الارض بقبورها ، ويراقب تحركها المندلع ، وقد اخذت تشقق ، وتقذف ما بجوفها الي سطحها ، وعلي مدي الفضاء . لاحظ المتنبي وهو واقف علي صدر غيمة في أعلي الجو ، أن كل القارات والجزر ، والبحار قد تفجرت ، واخرجت ما بأعماقها ، وأن سكان التاريخ اندفعوا كاللهب من صدر بركان إلى مكان في الأرض ليزحفوا له إلي كل البقاع زحفاً

واحداً كما أنه يتميز غيظاً من أصوات غطيط وشخير تتعالى من مكان في الشرق الأوسط وأدرك أن قبور الارض كلها ثارت ، وأبناء الشعوب جميعها اندفعت ، إلا ذلك المكان الأسمر الذي لايزال ينام .. كاد شاعر الغضب والسفر أن يفقد صوابه ويمزق ملابسه ، لكنه استل البرق حساماً ، وركب الريح حصانا ، وهدر ليمزق أولئك الذين ثارت قبورهم من حولهم ومازالوا في سبات عميق !!!